أصول العقائد

الإسلاميّة

عبد الله عرواني

دار القلم
دمشق

الطبعة الثالثة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة : دمشق - حلبوني - ص.ب ٤٥٢٣ - هاتف ٢٢٩١٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ ترَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كلمةً طَيِّبةً كشجرةٍ طيِّبةٍ أصْلُها ثابتٌ وَفَرْعُها في السَّماءِ، تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإِذْنِ ربِّها ﴾ «٢٤ / ٢٥ ـ سورة إبراهيم»

مقدّمة الطبعة الثالثة

الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفَى.

في معترك الصراع الفكري العالمي بين نظريتين متناقضتين متباينتين هما: الرأسمالية والماركسية، فالأولى تعطي الإنسان مطلق حريته، فينطلق دون قيد يفعل ما يشاء، فإذا بالجشع يأكل قلبه، وحب اللّذة والمال يذهب برُشْده، فيركب في سبيلهما كل سبيل. والثانية تجعل الإنسان ترساً في آلة ضخمة، وتلغي نسبياً وجوده الذاتي، وتفقده روعة الحرية في نظام بوليسي صارم لا يعترف إلا بالمادة الصمّاء، قد فقد الروح وإشراقها وما يحيط بها من معانٍ إنسانية...

في هذا المعترك تبرز العقيدة الإسلامية حقيقة واضحة، بيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلا هالك، قد أوضحت كل معنى في هذا الوجود، فبيّنت الحقائق الإيمانية التي تتعلق بالإلهيّات والنبوات والكون والإنسان والحياة بلا لَبْس ولا غموض. وانبثق عنها أشمل نظام عرفته البشريّة، قائم على

أسس ثابتة من الحق والعدل والإحسان، بيّنها كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

ومن أجل عَرْض أصول هذه العقيدة وتقديمها لشباب الأمة في أسلوب سهل التناول نعيد تقديم هذه الرسالة، راجين من الله عز وجل أن ينفع بها، وأن تكون لنا ذخراً في سجل أعمالنا، والله حسبنا ونعم الوكيل.

عبد الله عرواني

١٨ شعبان المعظّم ١٤٠١هـ

٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٨١م

مقَدِّمَة الطبْعَةِ الأولى

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسولِ الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن الإيمان هو الأساس الذي لا يُقبل العمل إلّا به، ولا تَحصلُ السعادةُ الحقيقيّة في الدنيا والنجاة في الآخرة إلا بوجوده وتمكّنِه من القلب وإشراقه فيه، ومن فقده فَقَدَ السعادةَ ولم يجد له عِوضاً ولو ملك الأرض وما عليها ﴿ وَمَنْ أعرضَ عَنْ ذِكْري فإنَّ له مَعِيشةً ضَنْكَى، ونَحشرهُ يومَ القيامة أعمى ﴾.

والجهل بأصول العقائد يجعل هذا الإيمانَ في خطرٍ عظيمٍ، وخصوصاً في هذا الزمان الذي أصبح فيه لِزاماً على المسلم ـ أكثرَ من أي زَمنٍ آخرَ ـ أنْ يحرصَ على تعلّمِ أمور العقيدة ليصبح إيمانُه محصّناً بالعلم، فلا تتخطَّفُه الشياطينُ عن طريق الحق بالشُّبه والشكوك.

لهذا اتجهت الرغبةُ إلى إخراج رسالة ميسّرة مبسّطة لا

إسهابَ فيها ولا إطالةَ في إيراد الأدلة النقلية والعقلية، في أصول هذا الأمر الخطير، ومن شاء الاستزادةَ ففي الكتب المطوّلة ريُّ القلوب الظمأى إلى المعرفة واليقين. نسألُ اللهَ أن يجعل فيها النفعَ العميم، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم.

أخي المسلم:

إنك لم تُخلقْ في هذا الكون عَبَثاً ﴿أَفَحَسِبْتُم أنّما خَلَقْناكُم عَبَثاً وأنَّكم إلينا لا تُرجَعون﴾ «١١٥ - المؤمنون».

ولن تتركَ سُدى، ﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُتْرَكَ سُدَىً﴾ «٣٦ - القيامة».

ولا بدَّ لهذه الحياة مهما طالت من نهاية... والناسُ بعدها فريقان: شقيٌّ وسعيد، وما ثَمَّ إلا طريقان: طريق أولُه الإيمانُ، وأوسطه طاعةُ الرحمن، وآخره الفوز بالجنان. وطريق أوله الجحود، وأوسطه العصيانُ، وآخره الشقاء في النار. فاخترْ أيَّ الطريقين شئتَ ﴿وما يستوي الأعمى والبَصِيرُ. ولا الظُّلُماتُ ولا النورُ. ولا الظلُّ ولا الحَرُورُ. وما يستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ﴾ «١٩/٢٢ - فاطر».

تفكّرْ في هذا الكون العجيب الذي من حولك، وتفكَّرْ في

ذاتك؛ تشهدْ عظمةَ الله عز وجل، فيترددُ في أعماقك ﴿ ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلاً، سُبْحانك فَقِنَا عذابَ النار﴾ «١٩١ ـ آل عمران». هذه النارُ لن ينجيَك منها مالٌ، ولا جاه، ولا منصب، ﴿ يَوْمَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلاَّ منْ أتى اللهَ بقلبٍ سَليمٍ ﴾ «٨٨/٨٩ ـ الشعراء». وتلك الجنةُ التي وعد اللهُ عبادَه بالغيب غالٍ ثمنُها «ألا إنَّ سِلْعةَ الله غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ الله الجنةُ ـ الحديث».

أخي المسلم:

لقد بعث الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمداً ﷺ والبشرية في عَماية الجاهلية، ففتح أقفال القلوب القاسية بالتوحيد، وحوّلَ خاماتِ الجاهلية إلى عجائب إنسانية، وأنزل سبحانه وتعالى القرآن على قلب حبيبه المصطفى ﷺ ليبيِّن للناس الصراط المستقيم، وليسنَّ لهم شريعة عامة صالحة لكل زمان ومكان، انتظمت كل شؤون الحياة، وارتفعت بالنفس البشرية إلى أوج الفضائل الإنسانية ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لِمَا يُحْييكُمْ ﴾.

واعلم يا أخي أننا في زمنٍ الفتنُ فيه كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا، كما أخبر النبي المصطفى

ﷺ. فلا يَصُدَّنَّك يا أخي عن هذا الدين العظيم شياطينُ الإنس والجن بزخرف القول وأباطيل الفكر، وأنصت بقلبك إلى قول ربك عز وجل: ﴿فأعرِضْ عنْ من تولّى عن ذكرنا ولم يُرِدْ إلا الحياة الدنيا، ذلك مَبْلَغهُم من العلم، إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيلِهِ، وهو أعلم بِمَنْ اهتدَى﴾ «٢٩ / ٣٠ ـ النجم» وقوله عز وجل: ﴿ولا تُطِعْ من أغفلْنا قَلْبَه عن ذِكْرِنا، واتبعَ هواه، وكان أمرُه فُرُطاً﴾ «٢٨ ـ الكهف». وإلى قوله تعالى يبيّن ندم أولئك الذين أطاعوا أقران السوء: ﴿ويومَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْه يقولُ: يا ليتني اتَّخَذْتُ مع الرسولِ سبيلًا، يا ويلَتَى ليتني لم أتَّخِذْ فلاناً خليلًا، لقد أضلّني عن الذِّكْرِ بعد إذْ جاءني، وكان الشيطانُ للإنسان خذولًا﴾ «٢٧ / ٢٩ ـ الفرقان».

قال سيدي الشيخُ محمد الحامد رحمه الله تعالى في نصيحته إلى الشباب: «الاعتقادُ الحقُ هو الأصل الأصيل، والركن الركين، وهو الأول الأول؛ والعمل الصالح يقع ثانياً في المرتبة، فليرفُضْ أحدُنا كلَ فكرة يرفضُها الكتابُ والسنةُ وما عليه السلفُ الصالحُ، وليحرزْ اعتقادَه فيما بينه وبين ربِّه جلّ وعلا، على النحو الصحيح والمنهج الحق الذي نهجه سيدنا رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وصحبُه والتابعون

لهم بإحسان» هدانا الله وإياك يا أخي إلى سواء السبيل. . . وهو حسبُنا ونعم الوكيل.

عبدالله عزواني

٢٢ محرم الحرام ١٣٩٠هـ

٢٩ آذار (مارس) ١٩٧٠م

العَقيـدَة
تعريفها، عناصرها

العقيدة:

هي ما انعقد عليه القلب، واستمسك به، وتعذّر تحويله عنه. وفي المصباح المنير: «**العقيدة ما يدين الإنسان به**» أما في اصطلاح علمائنا فالاعتقاد والعلم والمعرفة كلها بمعنى واحد[1] «والمعرفة: هي الجزم القاطع المطابق للواقع عن دليل ولو جُمْلياً». وفي هذا أبلغ ردٍّ على افتراءات أعداء الإسلام الذين يزعمون أن إيمان المسلمين هو مجرد «اعتقاد» غير قائم على دليل أو نظرٍ علمي!! وقد بحث علماؤنا في إيمان المقلِّد، فبعضهم حكم بعدم صحته، وبعضهم قال بصحته، ولكن يكون عاصياً بترك الدليل.

وللعقيدة الإسلامية ثلاثة عناصر:

---

(١) لمحات في التربية الإسلامية للدكتور محمد أمين المصري رحمه الله تعالى.

١ ـ العنصر الفكري
٢ ـ العنصر الوجداني (القلبي)
٣ ـ العنصر السلوكي العملي

وإذا تكاملت هذه العناصر الثلاثة في نفس فرد أو حياة جماعة فإنَّ الإسلام يظهر للناس كما يرضاه الله عز وجل، وهذا ما حدث في عهد النبوة والخلافة الراشدة والقرون المشهود لها بالخيريّة. ثم بدأت تنفصل هذه العناصر في حياة المسلمين أفراداً وجماعات، وبدأت ترى مسلماً يهتم بالفكر، وآخر يهتم بالقلب والروح، وآخر يهتم بالعمل.

ولكن لا بد أن يبقى في كل عصر من تتكامل فيه هذه العناصر تصديقاً لقول المصطفى ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

ولتقوم الحجّة على العالمين بأن هذا الدين صالح في كل زمان ومكان.

الفصل الأول

الفـــروض العينيّــة

الفرض:

هو ما طلب الشارع فعله من المكلف[1] طلباً حتماً. وهو نوعان: عيني وكفائي.

الفرض الكفائي:

هو ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين، فإذا فعله بعضهم سقط عن الباقين.

الفرض العيني:

هو ما طلب الشارع فعله من كل مكلف من أفراد المكلفين به.

١ ـ **الفرض العيني الأول:** الإيمان بالله تعالى ومعرفته بأنه

---

(١) المكلف: هو البالغ العاقل سليم الحواس ـ ولو السمع أو البصر فقط ـ الذي بلغته الدعوة الإسلامية.

واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، منزّه عن كل نقصان، مُتّصف بكل كمال، والإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالى...، وتحصين هذا الإيمان بالأدلّة الدافعة للشُبَه.

٢ ـ **الفرض الثاني**: معرفة أحكام العبادات، وأداؤها، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج عند الاستطاعة، وغير ذلك من التكاليف الشرعية، ومعرفة أحكام المعاملات عند إرادة مزاولتها.

٣ ـ **الفرض الثالث**: معرفة المكلّف ما يلزمه من أحكام الحلال والحرام (وهي منثورة في كتب الحظر والإباحة).

٤ ـ **الفرض الرابع**: تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل والأخلاق المذمومة، وتحليتها بالفضائل التي أمر الله سبحانه بها، وبيَّنها رسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله، وأحواله: ﴿قد أفْلَحَ مَنْ زكَّاها وقد خابَ مَنْ دسَّاها﴾[1]، ﴿قد أفلح من تَزَكَّى﴾[2].

(١) سورة الشمس / ٩ ـ ١٠.

(٢) سورة الأعلى / ١٤، وفلاح النفس يكون بتزكيتها، وذلك يكون بالإيمان والعمل الصالح. وانظر ما ورد في ذلك في كتاب الله عز وجل وسيرة رسوله ﷺ وحياة الصحابة والصالحين.

الفصل الثاني

أركان الدّين

الدين:

وضع إلٰهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات[1].

والإسلام: هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده، يشمل العقيدة التي تفسِّر الوجود وطبيعته، وتحدّد للإنسان غايته في هذا الوجود، ويشمل النُّظم التي تنبثق من هذه العقيدة وتستند إليها، وتجعل لها صورة واقعية في حياة البشر، كالنظام الأخلاقي، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، والنظام السياسي، والنظام الدولي... هذا المنهج الكامل قائم على أركان ثلاثة:

١ ـ الإسلام:

ومعناه الانقياد والامتثال لما جاء به رسول الله ﷺ من عند

---

(١) «الدين» للدكتور محمد عبدالله دراز رحمه الله.

الله سبحانه وتعالى، أو بمعنى آخر: هو عبودية العباد لله. ويقابله من الجانب الآخر (الجاهلية) وهي عبودية العباد لغير الله من الأوثان أو البشر، وتشريع الناس للناس بما لم يأذن به الله، كائنة ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع، ويوضِّح معنى الجاهلية بشكل دقيق ما قاله رسول الله ﷺ لأبي ذر عندما قال لأحد الصحابة يا ابن السوداء: «إنك امرؤ فيك جاهلية»!!

وأركانه:

أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله
وتقيم الصلاة
وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان
وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

٢ ـ الإيمان:

ومعناه تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به من عند الله تصديقاً لا شك فيه.

وأركانه:

أن تؤمن: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،

وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

٣ ـ الإحسـان:

ومعناه تحقيق الإخلاص في العبادة على درجات... بأن تعبد الله كأنك تراه.

فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

والتحقُّق بهذه الأركان تحقق بالتقوى التي دعا إليها الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام، بل كانت غاية دعوتهم.

قال الإمام البيضاوي في تفسيره:

التقوى فرط الصيانة، وهي في الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضرّه في الآخرة وله ثلاث مراتب:

الأولى: : التوقِّي عن العذاب المخلّد بالتبرّي عن الشرك. وعليه قوله تعالى: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ «٢٧ ـ الفتح».

والثانية: : التجنّب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، حتى الصغائر، وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿ولو أنَّ أهلَ القرى آمَنُوا واتَّقَوا﴾.

والثالثة: : أن يتنزّه عما يشغل سرّه عن الحق، ويتبتل إليه

بشراشره[1]، وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حقّ تُقَاتِه﴾ «١٠٢ ـ آل عمران».

(١) بشراشره: أي نفسه.

تمهيد لبحث العقائد

الحكم وأقسامه:

هناك بعض المصطلحات من علم المنطق استخدمها علماء التوحيد عند تصنيفهم في العقيدة لا بد من تعريفها وأخذ فكرة إجمالية عنها، لنكون على بيِّنة من أمرنا أثناء بحثنا في أصول العقائد

*ـ **الحكم**: هو إثبات أمر لأمر (مثال: إثبات الحدوث للكون) ويقسم الحكم إلى ثلاثة أقسام: أ ـ الحكم الشرعي. ب ـ الحكم العادي. جـ ـ الحكم العقلي.

آ ـ **الحكم الشرعي**: هو خطاب الله تعالى المتعلِّق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما (وبيان شرحه في أصول الفقه).

ب ـ **الحكم العادي**: هو الربط بين أمر وأمر وجوداً وعدماً بواسطة التكرار، (كالحكم على النار بأنها محرقة،

وعلى الطعام بأنه مشبع، وعلى الدواء بأنه شافٍ... إلى غير ذلك..)

وفي الحكم العادي أربعة مذاهب:

١ ـ **مذهب الطبيعيين**: يقولون بأن الأسباب العادية تؤثر بطبيعتها ـ دون مؤثر ـ (وهذا كفر).

٢ ـ **مذهب المعتزلة**: وهم يرون أن بين الأسباب والمسبّبات ملازمة عاديّة، وهذه التأثيرات الحاصلة من المؤثرات بقوة أودعها الله فيها (وهذا ابتداع).

٣ ـ **مذهب العقليين**: يقولون : إن بين الأسباب والمسببات ملازمة عقلية لا يمكن انفكاكها (وهذا فسق) قد يؤدي إلى الكفر.

٤ ـ **مذهب أهل السنة**: يعتقد أهل السنة أن بين الأسباب ومسبباتها ملازمة عادية يخلقها الله عندها لا بها. ويخرق الله هذه الأسباب إمّا معجزة لنبي أو كرامة لولي. فالله سبحانه وتعالى يخلق الإحراق عند وجود النار، ويخلق الشبع عند وجود الطعام، والريّ عند وجود الماء، فهو سبحانه المؤثر في هذا الوجود وحده لا شريك له. وأهل السنة لا يتركون الأسباب ولا يعطّلونها، بل يعتنون بها امتثالاً لأمر الله واقتداء برسول الله ﷺ، وينفون عنها التأثير إيماناً بوحدانية الله.

جـ ـ **الحكم العقلي**: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، من غير توقف على تكرار (كما هو الحال في الحكم العادي) ولا وضع واضع (كما في الحكم الشرعي) مثال: الحكم بأن الكون حادث، ومعناه إثبات الحدوث له ونفي القدم عنه. وهو ثلاثة أقسام:

١ ـ **الواجب**: هو ما لا يتصور في العقل انتفاؤه.

ويكون بدهياً: كقولنا: إن الجرم متحيز (أي يأخذ مكاناً من الفراغ).

ويكون نظرياً: كقولنا: إن الله موجود.

٢ ـ **المستحيل**: هو ما لا يتصور في العقل ثبوته.

ويكون بدهياً: كخلوِّ الجرم عن الحركة والسكون.

ويكون نظرياً: كوجود شريك لله تعالى، أو كقدم العالم.

٣ ـ **الجائز**: ما يصح في العقل ثبوته وانتفاؤه.

ويكون بدهياً ونظرياً، فالبدهي: كالحركة للجسم، والنظري كتعذيب المطيع الذي لم يعصِ الله قط، فهذا جائز عقلاً لأن الله سبحانه هو المنفرد بالإيجاد، فلا تأثير لفعل الطاعة والمعصية في الثواب والعقاب، بل الثواب

والعقاب ودخول الجنة أو النار بمحض اختيار الله سبحانه، ولكن لمّا ورد الخبر الإلٰهي بتعذيب الكافر والعاصي، وإثابة الطائع، أصبح ذلك واجباً شرعياً، وأصبح دخول الكافر الجنة مستحيلاً شرعياً أو عرضياً.

إذن يتفرع عن الجائز العقلي فرعان هما: ١ ـ واجب عرضي و٢ ـ مستحيل عرضي[١].

(١) عن رسالة المعرفة للشيخ عبدالكريم الرفاعي رحمه الله (بتصرف).

الفصل الثالث

أركان الإيمان

«قال: فأخبرني عن الإيمان؟؟

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره...» الحديث.

الإيمان بالله تعالى

«سأل رجل جعفر الصادق ـ رحمه الله تعالى ـ عن الله تعالى، فقال: ألم تركب البحر؟ قال: بلى. قال: فهل هاجت بكم الريح عاصفة؟! قال: نعم. قال: وانقطع أملك حينئذٍ من الملاّحين ووسائل النجاة؟! قال: نعم. قال: فهل خطر ببالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إن شاء؟؟ قال: نعم. قال: فذلك هو «الله»...

وكان أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ شديداً على الدَّهْرية، وكانوا يترقبون الفرصة لقتله!! فبينما هو في المسجد يوماً إذ

هجم عليه جماعة منهم بسيوفٍ مسلولة، فقال: أجيبوني عن مسألة، ثم افعلوا ما بدا لكم، قالوا: هات، قال: ما تقولون في سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأثقال، في لجةٍ قد احتوشتها أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي تجري بعينها على الاستقامة ليس لها ملّاح يوجهها ولا دافع يدفعها؟!!

قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل!!

قال: سبحان الله!! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري من غير ملاح، فكيف يجوز قيام الدنيا على اختلاف أعمالها، وتغاير أحوالها، وسعة أكنافها، وتباين أطرافها، من غير صانع وحافظ؟!

قالوا: صدقت، وبكَوا وأغمدوا سيوفهم وتابوا...»[1].

إن الإيمان بالله تعالى مركوز في فطرة كل إنسان إلّا إذا غشيتها حجب الجهل والكِبْر والعناد. وإن تعجب فعجب انسياق بعض شباب المسلمين وراء دعوات وفلسفات تدعو إلى الإلحاد دون تمحيص أو تفكير، ولو عادوا إلى أنفسهم قليلاً وتفكروا بعيداً عن كل هوى لوصلوا إلى الحق... ﴿فأقم وجهَك للدين حنِيفاً، فطرةَ الله التي فَطَر الناسَ عليها، لا تبديلَ لخَلْق اللهِ، ذلك الدينُ القيّم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ «٣٠ ـ الروم».

---

(١) رسالة في التوحيد للشيخ محمد الهاشمي رحمه الله تعالى.

ولنبدأ الحديث الآن عن:

١ ـ ذات الله سبحانه وتعالى:

لا يستطيع العقل البشري أن يتصوّر إلّا الأشياء التي تدركها أو أدركتها حواسه. والحواس في الإنسان محدودة.. فالعين مثلاً لا ترى إلا ألوان الطَّيف السبعة، أما الأشعة فوق البنفسجية، وتحت الحمراء، والالكترونسات والقوة المغناطيسية، فلا تستطيع العين رؤيتها، وبالتالي فإن العقل البشري لا يتمكن من إدراكها بل يتعرف عليها بآثارها. والأذن لا تسمع إلا في حدود معينة، وهناك أصوات كثيرة لا تستطيع إدراكها أو سماعها، وقِسْ على ذلك بقية الحواس، وتفكر في قصورها عن إدراك الكثير من المخلوقات، تدركْ سخف أولئك الذين تطلب إليهم الإيمان بالله، فيقولون: أرنا الله!! وحواسهم عاجزة قاصرة...

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ «تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تَقْدُروا قَدْرَه»[١].

وليس ذلك حَجْراً على الفكر، ولا جموداً في البحث، ولا

---

(١) رواه أبو نُعَيْم في الحلية بإسناد ضعيف، ورواه الأصبهاني بإسناد أصح، وعلى كل فمعناه صحيح.

تضييقاً على العقل، ولكن عصمة له من التردِّي في مهاوي الضلالة، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوافر له وسائلها.

قال العلامة الشيخ علاء الدين عابدين: «ذات الله سبحانه وتعالى جلَّت عن أن تدركها البصائر النافذة في عالم الملكوت، فضلاً عن الأبصار، وعظمت عن أن تتوهمها الظنون أو تلتمحها الأفكار»[1].

سئل الشِّبْلي عن الله تبارك وتعالى فقال: «**هو الله الواحد المعروف، قبل الحدود وقبل الحروف**».

وقيل ليحيى بن معاذ الرازي: أخبرنا عن الله عز وجل، فقال: إلٰه واحد، فقيل له: كيف هو؟؟ فقال: ملكٌ قادر، فقيل له: أين هو؟! فقال: هو بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرتك عنه.

ورحم الله القائل:

تالله لا موسى الكليم ولا المسيح ولا محمدْ
علموا ولا جبريل وهو إلى محلِّ القدس يصعدْ
من كُنْه ذاتك، غير أنّك أوحدي الذات سرمدْ

---

(١) الهدية العلائية ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

٢ ـ أسماء الله عز وجل:

إن الله عز وجل تعرّف إلى خلقه بأسماء تليق بجلاله يحسن بالمؤمن حفظها، تبركاً بها، وتلذذاً بذكرها، وتعظيماً لقدرها.

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: «اعلم أن من لم يكن له حظٌّ من معاني أسماء الله تعالى إلا بأن يسمع لفظه ويفهم في اللغة تفسيره ووصفه، ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى، فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله».

وهذه درجات أكثر العلماء فضلاً عن غيرهم، ولا يُنكر فضل هؤلاء بالإضافة إلى من يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث، ولكنه نقص ظاهر إلى ذروة الكمال، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، بل حظوظ المقربين من معاني أسماء الله الحسنى ثلاثة:

الحظ الأول: معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة، حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافاً يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة لا بإحساس ظاهر،

وكم بين هذا وبين الاعتقاد المأخوذ من الآباء والمعلمين تقليداً والتصميم عليه، وإن كان مقروناً بأدلة جدلية كلامية.

الحظ الثاني: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال.

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلّي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً ـ أي قريباً من الرب تعالى ـ.

وإليك الحديث الصحيح الذي جمعها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلاّ دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» رواه البخاري ومسلم. وفي رواية للبخاري: «من أحصاها»، ورواه الترمذي وزاد: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصوِّر، الغفّار، القهّار، الرزّاق، الفتّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزّ، المذلّ، السميع، البصير، الحَكَم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود،

المجيد، الباعث، الشهيد، الحقّ، الوكيل، القويّ، المتين، الوليّ، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحيّ، القيّوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البَرُّ، التوّاب، المنتقم، العفوّ، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنيّ، المغني، المانع، الضارّ، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

وهذه الأسماء ليست كل ما ورد في أسماء الله تعالى، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء، فقد ورد في هذا الحديث من رواية أخرى: «الحنّان، المنّان، البديع»، وورد كذلك من أسمائه تعالى: «المغيث» و«الكفيل» و«ذو الطَّوْل» و«ذو المعارج» و«ذو الفضل» و«الخلاق».

وهناك بعض الأحاديث ورد فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى، ولكن قرائن الحال، وأصل الوضع دلّ على غير ذلك، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما، أو على تقدير بعض المحذوفات، مثال ذلك الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تسبّوا الدهر، فإن الله هو الدهر». فهذا الحديث لا يراد منه ظاهره، بل المقصود: فإن الله هو المسبِّب لحوادث الدهر،

فلا يصح أن ينسب إلى الدهر شيء ولا أن يسبّ ويذمّ.

التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته:

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه لطائف المنن (جـ٢ ص٢٧):

«قد أجمع أهل السنة على منع كل إطلاق لم ترد به الشريعة، سواء كان في حقِّ الله تعالى، أو في حقِّ أنبيائه، أو في حقِّ دينه. وكان الشيخ أبو الحسن الأشعري يقول: «ما أطلق الشرع في حقِّه تعالى أو في حقِّ أنبيائه، أو في حقِّ دينه أطلقناه، وما منع منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع ألحقناه بالممنوع حتى يرد الإذن في إطلاقه».

وقال القاضي أبو بكر الباقلّاني: «ما لم يرد فيه إذن ولا منع نظرنا فيه، فإن أوهم ما يمتنع في حقه تعالى منعناه، وإن لم يوهم شيئاً من ذلك رددناه إلى البراءة الأصلية ولم نحكم فيه بمنع ولا إباحة».

فقد اتفق الإمامان على منع كل إطلاق يوهم محظوراً في حق الله تعالى، وتبعهما العلماء على ذلك قاطبة، وقد نقلوا فيه الإجماع، فعلم من هذه القاعدة أن كل من كان لا يفرق بين ما يوهم إطلاقه محظوراً وبين غيره، فلا يجوز له أن

يطلق في حق الله تعالى إلا ما ورد به التوقيف والإذن الشرعي، حذراً أن يقع فيما لا يجوز إطلاقه على الله تعالى فَيَأْثم أو يكفر» اهـ.

اسم الله الأعظم:

ورد ذكر اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة، ولكن هذه الأحاديث لم تعيِّن الاسم الأعظم، ولذلك فالعلماء مختلفون في تعيينه فبعضهم قال: إنّه دعاء مركّب من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسان مع توافر الشروط المطلوبة شرعاً استجاب الله له.

وبعضهم قال: إنّ اسم الله الأعظم هو «الله» قال الطيبي: إن لفظ «الله» مذكور في الكل - أي كل الأحاديث - فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم.

وقال الشيخ محمد أمين عابدين في حاشيته المشهورة على الدر المختار (جـ١ ص٥): «روى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه - أي لفظ الله - اسم الله الأعظم وبه قال الطحاوي، وكثير من العلماء، وأكثر العارفين، حتى إنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به. إهـ، كما في شرح التحرير لابن أمير حاج».

٣ ـ صفات الله سبحانه وتعالى:

صفات الله سبحانه وتعالى تتجلّى في هذا الكون الذي نعيش فيه، وتتجلى في أنفسنا وذواتنا.. فلو نظرنا في هذا الكون الهائل الذي لا يمكن للعقل البشري أن يدرك مدى اتساعه، وما فيه من ملايين المجرّات والتي تتألف كل منها من بلايين النجوم، ثم ما في هذه الأرض من غرائب الخلق والإبداع والتناسق... ثم ما في أجسادنا من دقّة وانتظام أعجزت العلماء حتى الآن عن فهم كثير من أسرارها... ولو تبصّرنا لعرفنا أن الذي خلق هذا كله: قادر، عليم، عظيم، سميع، بصير... وإجمالاً نجد أنفسنا ممتلئة بعقيدة الفطرة وهي أن الله سبحانه متصف بكل صفات الكمال، ومنزّه عن صفات النقصان التي يتصف بها المخلوق الضعيف. ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله...﴾.

ولقد ذكر العلماء أنّ ممّا يجب لله سبحانه وتعالى[1] عشرين صفة، وقسموها إلى أربعة أقسام: ١ ـ نفسية ٢ ـ سلبية ٣ ـ معاني ٤ ـ معنوية.

أولاً ـ الصفة النفسية: وهي الصفة التي لا تعقل الذات بدونها وهي:

---

(١) وقد مر في بحث الحكم العقلي معنى الواجب.

الوجود: وجود الله سبحانه وتعالى ذاتي (غير مستمد من غيره) واجب (لا يتصور في العقل عدمه) ليس كوجودنا الحادث الممكن الذي تم بإيجاده تعالى.

دليل الوجود: وجُود الله سبحانه وتعالى أظهر حقيقة في هذا الوجود، ولكن الإنسان قد تَغْشَى نفسه غواشٍ مختلفة، فلا بد من ذكر الأدلّة التي يطمئن بها القلب وتكون سلاحاً في وجه الأعداء الذين عميت قلوبهم عن إدراك الحق.

وأول هذه الأدلة هو «حدوث الكون» فإذا أثبتنا هذا الحدوث نتج معنا أنه لا بدّ له من مُحدِث وهو الله سبحانه وتعالى.

يقول فرانك آلن في كتاب «الله يتجلّى في عصر العلم»:

«قوانين الهندسة الحرارية تدل على أنّ مكوّنات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً، وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذٍ تنعدم الطاقة... وتستحيل الحياة. ولا مناص من حدوث هذه الحالة عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت.

أما ما نراه من وجود الشمس المستعرة، والنجوم المتوهجة، والأرض الغنية بأنواع الحياة، فكلها دليل واضح

على أن أصل الكون وأساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذاً حدث من الأحداث.

ومعنى ذلك أنه لا بدّ لأصل الكون من خالقٍ أزلي ليس له بداية» .

ويقول أدوارد لوثر في الكتاب نفسه:

«العلوم تثبت بكل وضوح بأن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، فهنالك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس... ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة حرارة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام، وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذٍ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية، ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة، ولا تزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير في طريقها، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليّاً، وإلّا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقّف كل نشاط في الوجود».

وهكذا تنهار المادية الجدلية (ديالكتيك) التي تقول بقدم المادة والكون، وتجعل هذا الاعتقاد أحد أهم أسسها في إنكار وجود الخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

إذا ثبت لك حدوث الكون، فاعلم أن الحادث يستوي وجوده وعدمه، ولا بدّ له من مرجِّح يرجّح وجوده على عدمه، وما دام الحادث لا يستطيع إخراج نفسه من مرتبة العدم إلى مرتبة الوجود، فلا بد أن هناك خالقاً أوجده وأخرجه من العدم إلى الوجود...

ولنبدأ بعد هذا رحلة قصيرة عبر مكوِّنات هذا الكون... فهذه الرسالة لا يمكننا أن نسترسل بها في هذا الموضوع حتى لا تخرج عما قصد منها، والمؤمن يستطيع أن يرى في كل ما كتب في الطبِّ والفلك والذرّة والنبات والحيوان آيات تدلّه على عظمة الخالق سبحانه... ولنبدأ رحلتنا القصيرة من المجرات الضخمة (التي تحتوي آلاف ملايين النجوم) يتألف هذا الكون... وكل مجرّة فيها بالإضافة إلى النجوم الكواكب والسُّدُم الغازية، وتسير كلها بسرعات هائلة، وما فيها من نجوم وكواكب له حركته الخاصّة المنتظمة، ومع ذلك فلكل منها مداره المنتظم الذي لا يختلف.

وفي عالم الحياة أسرار... وأسرار في وحيدات الخليّة... وفي الورقة الخضراء التي تحتفظ بسر صناعة الغذاء...

وفي عالم الإنسان... عجائب وأسرار لا مجال للإفاضة بها هنا. يروي لنا «ويتاكر تشمبرز» في كتابه «الدليل» حادثة

بسيطة لعلّها كانت السبب في تحويل مجرى حياته، بل حياة كثير من البشر: لقد كان يتطلع إلى ابنته الصغيرة وهي تلعب أمامه... ثم التفت فجأة دون شعور إلى شكل أذنيها.. وذكر بينه وبين نفسه بأنه من المحال أن تكون التلافيف الدقيقة التي تشتمل عليها الأذن قد نشأت عن طريق المصادفة!! وصرف هذا الخاطر عن ذهنه، ولكن الخاطر ألحّ عليه وانصرفت وجهة قلبه من الإلحاد إلى التفكر في روعة الخلق، وأنه لا يمكن أن يكون قد نشأ إلاّ عن علم وإرادة وتدبير، وألّف كتابه «الدليل» أي على وجود الخالق سبحانه...

قال العارف ابن عطاء الله:

«دلَّ بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه».

«ولقد سئل أحد العارفين عن الدليل الذي أقنعه بالإيمان بالله فابتسم وقال: **أغنى الصباح عن المصباح! متى احتاج النهار إلى دليل؟!**».

ثانياً ـ الصفات السلبية:

سميت كذلك لأنها تسلب من أذهاننا ما لا يليق بذات الله

سبحانه، والصفات السلبية عدمية أي أن معناها عدم أمرٍ لا يليق بذات الله سبحانه.

١ ـ القِدَمْ: هو عدم افتتاح الوجود، والله سبحانه لا ابتداء لوجوده، وضد القدم الحدوث، وهو محال في حقّه سبحانه، إذ لو كان حادثاً لافتقر لِمُحدث، ولو افتقر لمحدث، لافتقر محدثه لمحدِث لوجود المماثلة بينهما فيلزم الدَّوْر[١] أو التسلسل[٢]، وكل منهما محال.

ولو كان حادثاً لكان مفتقراً لمن يوجده ويمده ومن كانت هذه صفته لا يكون إلهاً، ولا يمكنه أن يخلق هذا الكون من العدم، فوجود الكون دليل على أن الله سبحانه قديم لأنه لو كان حادثاً لكان عدماً والعدم لا ينتج شيئاً.

يقول الدكتور حسن هويدي: «الذي نجزم به أنه[٣] غير حادث ولا تعتريه صفات الحوادث، لأنه لو كان حادثاً

(١) الدَّوْر: كقولنا إن (آ) يحتاج في وجوده إلى (ب) و(ب) بحتاج إلى (ج) ومن ثمّ (ج) يحتاج (آ) وهذا ظاهر البطلان والسخف.

(٢) التسلسل: إن (آ) بحتاج (ب) و(ب) يحتاج إلى (ج) و(ج) يحتاج إلى (د) ليوجده وهكذا إلى ما لا نهاية..

قال أرسطو: إن هذه السلسلة لا بد أن تنتهي إلى مسبب وحيد أول هو أساسها لأن العقل لا يقبل أن تستمر هذه السلسلة إلى ما لا نهاية وهذا المسبب الذي تنتهي عنده السلسلة هو الحق تعالى.

(٣) الضمير راجع إلى الله سبحانه.

لاعتراه الفناء والعدم، وتكون النتيجة أن العدم أصل للوجود وهذا مستحيل»[1].

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الأولُ والآخرُ، والظاهرُ والباطنُ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾[2].

٢ ـ **البقاء**: هو عدم آخرية الوجود والله سبحانه لا اختتام لوجوده ولا يطرأ عليه العدم، إذ لو جاز عليه العدم لاستحال القدم. ﴿كُلُّ شيءٍ هالِكٌ إلَّا وجهَه﴾[3] ﴿كُلُّ مَنْ عليها فانٍ. ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرامِ﴾[4].

٣ ـ **القيام بالنفس (الغنىٰ)**: هو عدم الافتقار إلى محلٍّ ولا مخصص، أي أنه سبحانه لا يحتاج إلى ذات يقوم بها، ولا إلى موجد يوجده؛ إذ أنه القديم الأول والغني المطلق، الذي لا يفتقر إلى غيره أزلاً وأبداً، ويفتقر إليه كلُّ ما سواه من الكائنات.

وافتقار الكائنات إليه سبحانه ذاتي لا تستطيع أن تنفك عنه. ﴿يا أَيُّها الناسُ أنتمُ الفقراءُ إلى اللهِ، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ﴾[5].

---

(١) الوجود الحق ص ٣٤.
(٢) سورة الحديد / ٣.
(٣) سورة القصص / ٨٨.
(٤) سورة الرحمن / ٢٦ ـ ٢٧.
(٥) سورة فاطر / ١٥.

٤ ـ **الوحدانية**: الله سبحانه واحد في ذاته، واحد في صفاته واحد في أفعاله.

إن دلائل وحدانية الله سبحانه بادية جليّة في هذا الكون العجيب وما يتجلى فيه من تناسق وتكامل... أينما نظرت... في الإنسان في عالم الحيوان وفي عالم النبات... في النجوم المنتظمة ضمن المجرات الهائلة، تجد التناغم والتناسق الذي يدلُّ على وحدة الصانع جل وعلا.

الوحدانية في الذات: ليس لله شريك في ذاته وليست ذاته مركبة.

الوحدانية في الصفات: ليس لأحد صفات كصفاته وليس له سبحانه صفتين من نوع واحد.

الوحدانية في الأفعال: ليس لأحد فعل كفعله سبحانه فلا يخلق أحد من العدم شيئاً إلا الله، ولا يشاركه أحد في إيجاده لأي شيء. فكل حادث في العالم من خلق الله سبحانه لا خالق له سواه، ولا مُحْدث له إلا هو ﴿ اللهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ ﴾(١).

وقال الله: ﴿ لا تتَّخذوا إلٰهَيْن اثنَيْنِ، إنَّما هُوَ إلٰهٌ واحدٌ،

(١) سورة الزمر / ٦٢.

فإيايَ فارْهَبون ﴾[1]. ﴿ لقد كفرَ الذين قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ، وما مِنْ إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ ﴾[2]. ﴿ أم اتخذوا آلهةً من الأرضِ هم يُنْشِرون * لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لَفَسَدتا، فسبحانَ الله ربِّ العَرْشِ عمّا يصفون * لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون * أم اتخذوا من دونه آلهةً، قُلْ هاتوا برهانَكُم، هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وذِكْرُ مَنْ قَبْلي، بَلْ أكثرُهم لا يعلمون الحقَّ فهم معرضون * وما أرسلنا مِنْ قبلك من رسولٍ إلاَّ نوحي إليه: أنَّه لا إلهَ إلا أنا فاعبدون ﴾[3].

﴿ ما اتخذَ الله من وَلَدٍ، وما كان معه مِنْ إلهٍ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خَلَقَ ولَعَلاَ بَعْضُهم على بَعْضٍ، سبحان الله عما يَصِفُون ﴾[4].

﴿ قُلِ الحمدُ لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفَى، آلله خيرٌ أما يشركون *
أمّنْ خلق السمواتِ والأرضَ، وأنزل لكم من السَّماءِ ماءً، فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بَهْجةٍ ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها؟
أإلـهٌ مع الله؟! بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلون *

---

(١) سورة النحل / ٥٣.
(٢) سورة المائدة / ٧٤.
(٣) سورة الأنبياء / ٢١ ـ ٢٥.
(٤) سورة المؤمنون / ٩١.

أمَّنْ جعل الأرضَ قراراً، وجعل خلالها أنهاراً، وجعل لها رواسِيَ، وجعل بين البَحْرَين حاجزاً؟

أإلـهٌ مع الله؟! بل أكثرهم لا يعلمون *

أمَّنْ يجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاه ويكشفُ السوءَ، ويجعلُكُم خلفاءَ الأرض؟

أإلـهٌ مع الله؟! قليلاً ما تذكّرون*

أمَّنْ يهديكم في ظلماتِ البرّ والبحرِ، ومن يرسل الرياح بُشْراً بين يدي رحمته؟

أإلهٌ مع الله؟! تعالىٰ الله عما يشركون *

أمَّنْ يبدأ الخَلْقَ ثم يعيدُه، ومن يرزقكم من السماءِ والأرض؟!

أإلـهٌ مع الله؟! قلْ: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[1].

ثالثاً: صفات المعاني:

كل صفة موجودة قائمة بموجود يلزم من اتصافه بها ثبوت الصفات المعنوية.

١ ـ **الحياة**: صفة وجوديّة تصحّح لمن اتصف بها أن يتصف

---

(١) سورة النمل / ٥٩ ـ ٦٤.

بالعلم والسمع والبصر وغيرها من سائر الصفات، وحياته سبحانه أزليّة أبديّة، لم يسبقها عدم سابق، ولا يطرأ عليها عدم لاحق. وهي ليست كحياتنا، لأن حياتنا حادثة، وقائمة بالروح ثم مآلنا إلى الموت.

﴿ الله لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القيوم ﴾[1]. ﴿ هو الحيُّ لا إله إلا هو ﴾[2]. ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾[3].

٢ ـ **العلم**: صفة وجوديّة أزليّة، قائمة بذاته تعالى، انكشف بها كل من الواجب والجائز والمستحيل[4] انكشافاً تاماً على وجه الإحاطة، من غير سبق خَفاء.

فالله سبحانه يعلم ذاته المقدّسة، وصفاته العليّة، ويعلم سبحانه أحوال المخلوقات، ويعلم أن الشريك مستحيل.

﴿ إن الله بكل شيءٍ عليم ﴾[5].

﴿ يعلم ما في السموات والأرض، ويعلم ما تسرُّون وما تعلِنون، والله عليمٌ بذاتِ الصدور ﴾[6].

﴿ يا بُنيَّ إنَّها إنْ تكُ مثقالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ فتكنْ في

---

(١) سورة البقرة / ٢٥٥.
(٢) سورة غافر / ٦٥.
(٣) سورة الفرقان / ٥٨.
(٤) قد سبق بيان تعريف كل منها.
(٥) سورة المجادلة / ٧.
(٦) سورة التغابن / ٤.

صخرةٍ أو في السمٰواتِ أو في الأرض، يأتِ بها اللهُ، إنَّ اللهَ لطيفٌ خبيرٌ ﴾[1].

﴿ وسعَ ربُّنا كلَّ شيءٍ عِلْماً ﴾[2].

﴿ يعلم خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ ﴾[3].

﴿ وما يَعْزُبُ عن ربك من مِثْقال ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلّا في كتابٍ مبينٍ ﴾[4].

٣ ـ الإرادة: صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى، وقد خصّص اللهُ تعالى بها الممكنات ـ أزلاً ـ ببعض ما يجوز عليها من الصفات، على وفق العلم. فلا يوجد في الكون شيء إلا ما أراده الله سبحانه في الأزل.

﴿ إنَّما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له: كُنْ فيكونُ ﴾[5].

﴿ فأراد ربُّك أن يبلُغا أشدَّهما، ويستخرجا كَنْزَهما، رحمةً من ربِّك ﴾[6].

﴿ يريدُ الله ليبيِّن لكم، ويهديَكُمْ سُنَنَ الذين مِنْ قبلكم، ويتوبَ عليكم والله عليمٌ حكيمٌ، والله يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذين يتبعونَ الشهواتِ أنْ تميلوا ميلاً

---

(١) سورة لقمان / ١٦.
(٢) سورة الأعراف / ٨٩.
(٣) سورة غافر / ١٩.
(٤) سورة يونس / ٦١.
(٥) سورة يٰس / ٨٢.
(٦) سورة الكهف / ٨٢.

عظيماً، يريد اللهُ أن يخففَ عنكم وخُلق الإنسان ضعيفاً ﴾[1].

٤ ـ **القدرة**: صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى، يوجد اللهُ بها المخلوقاتِ ويمدُّها، ويعدمُها، وعلى وفق الإرادة، وهي تتعلق بجميع الممكنات، لا يعجزه شيءٌ سبحانه وتعالى.

﴿ يخلقُ اللهُ ما يشاء، إنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾[2].

﴿ ذلك بأن الله هو الحقُّ، وأنه يحيي الموتى، وأنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾[3].

﴿ وهو الذي خلقَ من الماء بشراً، فجعله نَسَباً وصِهْراً. وكان ربُّك قديراً ﴾[4].

٥ ـ **السمع**: صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى، يسمع بها الأصوات من غير جارحةٍ وآلة للسمع، ولا شرطٍ من قربٍ وبعد وجهة.

٦ ـ **البصر**: صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى، يبصر الله سبحانه الأجسام والألوان والأشكال من غير جارحة، ودون انعكاس موجات ضوئية من الشيء المرئي، ولا

---

(١) سورة النساء / ٢٧ ـ ٣٠.
(٢) سورة النور / ٥٤.
(٣) الحج / ٧.
(٤) الفرقان / ٥٤.

شرطٍ من قربٍ أو بعدٍ أو عدم وجود حائل. وإجمالاً فبصره سبحانه وسمعه مخالفان لما عليه السمع والبصر في المخلوقات.

قال سبحانه:

﴿قد سمع الله قولَ التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما، إنَّ الله سميع بصير﴾[1].

﴿أرأيتَ الذي ينهى * عبداً إذا صلَّى * أرأيت إنْ كان على الهدى أو أمرَ بالتقوى * أرأيتَ إنْ كذَّب وتولّى * ألمْ يعلمْ بأن الله يرى﴾[2].

﴿إذهَبا إلى فرعونَ إنَّه طَغَى * فقولا له قولاً ليّناً، لعلّه يتذكرُ أو يخشى * قالا: ربَّنا إنَّنا نخافُ أن يَفْرُطَ علينا أو أن يطغى * قال: لا تخافا إنني معكما أسمعُ وأرى﴾[3].

٧ ـ **الكلام**: صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكلٍّ من الواجب والجائز والمستحيل تعلُّق دلالة. فالله سبحانه وتعالى أخبرنا عن ذاته العلية، وعن صفاته، وبيّن لنا الأحكام ومعالم التوحيد، وقصّ علينا من أخبار الرسل والأمم الماضية.

---

(١) سورة المجادلة / ١.

(٢) سورة العلق / ١٠ ـ ١٤.

(٣) سورة طه / ٤٤ ـ ٤٧.

والقرآن الكريم من كلام الله تعالى، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، مقروء على الألسن، منزلٌ على سيدنا محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وكلّم اللهُ موسى تكليماً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿أفتَطْمعونَ أن يُؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلامَ الله، ثم يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾[2].

﴿وإنْ أحد من المشركِينَ استجارَكَ فأجره حتى يسمع كلام الله﴾.

رابعاً: الصفات المعنوية:

وهي تترتب على قيام صفات المعاني بالذات العليّة، وهي: كونه عز وجل: ١ ـ حياً ٢ ـ عليماً ٣ ـ مريداً ٤ ـ قديراً ٥ ـ سميعاً ٦ ـ بصيراً ٧ ـ متكلماً.

ما يستحيل[3] في حقِّ الله عز وجل:

يستحيل في حقِّ الله سبحانه أضداد الصفات التي مرّ ذكرها. واعلم أن الله سبحانه وتعالى كمالاتٍ وصفاتٍ لا

(١) سورة النساء / ١٦٤.
(٢) سورة البقرة / ٧٥.
(٣) سبق بيان معنى المستحيل.

تتناهى ولا تُحصى، ولا يعلمها إلا هو سبحانه (سبحانَ ربِّك ربِّ العزّة عمَّا يَصِفونَ).

الآيات والأحاديث المتشابهة وتنزيه الله سبحانه:

الله سبحانه وتعالى منزّه عن صفات المخلوقين، وما ذكره الله سبحانه في القرآن الكريم مما يوهم المشابهة من ذكر الوجه واليد والنفس والعين والمجيء، وكذا ما ورد في الأحاديث الشريفة من ذكر القدم والأصابع، فهي لا تؤخذ على ظاهرها، لقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزَلَ عليكَ الكتاب منه آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أمُّ الكتابِ، وأُخَرُ متشابهاتٌ، فأمّا الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتبعونَ ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه، وما يعلم تأويلَه إلاَّ الله، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌ من عند ربِّنا، وما يذَّكَّر إلا أولوا الألباب﴾[1].

وللعلماء في الآيات والأحاديث المتشابهة مسلكان:

١ ـ مذهب السلف:

السلف رضي الله عنهم يؤوِّلونها تأويلًا إجمالياً: بالإيمان بها، واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله سبحانه وعظمته.

---

(١) سورة آل عمران / ٧.

ولم يعينوا ذلك المعنى بل فوّضوه إلى الله تبارك وتعالى، وهم متفقون على تنزيه الله سبحانه عن ظاهر تلك الألفاظ المتبادر إلى ذهن الإنسان.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد سئل عن الأحاديث المتشابهة: «نؤمن بها ونصدّق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نردّ منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حقٌ إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نردُّ على الله قوله، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غايةٍ «ليس كمثله شيء» ذكره الخلّال في كتاب السُنَّة. وروى أبو القاسم اللالكائي في «كتاب السنة» عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى قال: «اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الربِّ عز وجل من غير تفسير ولا وصفٍ ولا تشبيه».

٢ ـ مذهب الخلف:

الخلف يؤولونها تفصيلاً بتعيين معانيها بما تُفهمه لغة العرب، ويصرفونها عن ظاهرها أيضاً كالسلف.

وقد أوّلوا اليد: بالقدرة، والوجه: بالذات، والقرب: بإكرام العبد، والبعد: بإهانة العبد، والاستواء على العرش:

بالاستيلاء والقهرية من غير فوقية ولا مماسّة أو حدٍّ أو مقدارٍ أو جهة، لأن الله تبارك وتعالى لا يتصف بشيءٍ من هذا مطلقاً، فربُّنا سبحانه منزّه عن الجهة والحلول، والذين ينسبون إلى الله تعالى العلوَّ على العرش والجهة، ليسوا متّبعين لمذهب السلف (الذين يصرفون النصوص عن معانيها الظاهرة) وإنما هم أقرب إلى المشبِّهة الذين يأخذون النصوص على ظاهرها دون تأويل.

بعد هذا نخلص إلى القول:

أولاً: اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه.

ثانياً: كلٌ منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفي التشبيه.

ثالثاً: كلٌ من الفريقين يعلم أن الألفاظ توضع للتعبير عما يجول في النفوس، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها، وأن اللغات مهما اتسعت لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم، فاللغة أقصر من أن تواتينا بالألفاظ التي تدل على حقائق ما يتعلق بذات الله تبارك وتعالى.

وقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل، فالسلف أوّلوا تأويلاً إجمالياً والخلف أوّلوا تأويلاً تفصيلياً، ومذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم، ولا يصار إلى مذهب الخلف إلا عند الخوف من تزلزل العقيدة وحفظاً لعقائد العوام من شبهة التشبيه[1].

الإيمان بالملائكة
عليهم السلام

الملائكة عليهم السلام أجسام نورانية، خلقهم الله عز وجل من نور، ومع ذلك فإنهم يمكن أن يتشكّلوا ويظهروا بتقدير الله تعالى بمظهر الأجسام الكثيفة الشريفة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناسلون، ولا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة[2]، دأبهم الطاعات، وهم معصومون من الذنوب، لا يفترون عن ذكر الله تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون﴾[3]. ولا يعلم عدد الملائكة عليهم السلام إلا الله تعالى.

---

(١) عن رسالة العقائد للإمام حسن البنا رحمه الله (بتصرف بسيط).

(٢) ما يصوره البعض في الكتب أو اللوحات من صور للملائكة على شكل فتيات جميلات فذلك حرام وكفر.

(٣) سورة التحريم / ٦.

أصناف الملائكة ووظائفهم كما وردت في النصوص الشرعية:

١ ـ **أكابر الملائكة**: ومنهم جبريل عليه السلام (وهو صاحب الوحي) وميكائيل (وقد ورد أنه موكَّل بأرزاق العباد) وصاحب الصور (الذي ينفخ فيه بأمر الله)، وملك الموت (الموكَّل بقبض الأرواح).

٢ ـ **حملة العرش**: وهم يوم القيامة ثمانية كما ذكر الله تعالى.

٣ ـ **خزنة الجنة**: ﴿وقال لهم خَزَنَتُها: سلامٌ عليكم، طِبْتُم فادخلوها خالدينَ﴾[١].

٤ ـ **خزنة النار**: ﴿وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنّم زُمَراً، حتى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنَتُها: أَلَمْ يأتكم رُسُلٌ منكم يتلُونَ عليكم آياتِ ربِّكم وينذرونَكم لقاءَ يومكم هذا؟ قالوا: بلى، ولكن حقَّت كلمةُ العذابِ على الكافرينَ﴾[٢].

ـ **ورئيس خزنة النار (مالك)** قال تعالى: ﴿ونادَوْا يا مالكُ لِيَقْضِ علينا ربُّك، قال: إنكم ماكثون﴾[٣].

---

(١) سورة الزمر / ٧٣.

(٢) سورة الزمر / ٧١.

(٣) سورة الزخرف / ٧٧.

٥ ـ **الحافظان**: الموكّلان بإحصاء ما اكتسبه الإنسان من حسنات أو سيئات، والموصوف كل منهما بأنه رقيب عتيد.

٦ ـ **الحفظة والمعقِّبات**: الذين يحفظون الناس ـ بأمرِ الله ـ من شرِّ كلِّ ذي شر خفي أو ظاهر ﴿له مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيه ومِنْ خَلْفه يحفظونَه من أمر الله﴾[1].

٧ ـ **الملكان الموكلان بسؤال الأموات**

ـ عليهم السلام أجمعين ـ

الإيمان بالرسل
عليهم الصلاة والسلام

من رحمة الله تعالى ومنِّه أن أرسل للناسِ رسلاً مبشِّرين ومنذرين، وأنزل عليهم شرائع تبيِّن للناس ما يحتاجون إليه من بيان للعقيدة الصحيحة، وللمناهج التي يجب أن يسلكها الإنسان ليصل إلى رضوان الله سبحانه وإلى السعادة والحياة الطيبة في الدنيا، ثم الفوز برضوان الله والجنة في الآخرة، وذلك لئلا يكون للناس على الله حجّة بأنه لم يرسل لهم من

---

(١) سورة الرعد / ١١.

يبلِّغهم أوامر الله ونواهيه وسائر شرائعه، ويرغِّبهم بثوابه، وينذرهم عقابه، حتى يعرفوا واجبهم نحو ربهم. قال تعالى: ﴿رُسُلًا مبشِّرين ومُنْذرين لئلَّا يكونَ للناسِ على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسُلِ﴾[1]. وقد بُعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعقيدة واحدة ولكن شرائعهم اختلفت باختلاف الأقوام والأزمان، فضلًا من الله ورحمة. وكان كل نبي يبعث فيما مضى إلى أمة خاصّة وفي زمن محدود. حتى بعث سيدنا محمد ﷺ، فكانت رسالته عامة إلى جميع الخلق، منذ بعث وإلى يوم القيامة. وقد نسخت ما قبلها من الشرائع والرسالات.

الرســـول:

إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، أوحى الله إليه بواسطة جبريل عليه السلام أن يبلِّغ أوامر الله عز وجل. وكل رسول نبي اصطفاه الله، وليس كل نبي رسولًا، فالنبي مهمته إن لم يؤمر بتبليغ رسالة مستقلة: العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له[2]. والنبوة سابقة للرسالة، فكلُّ رسول يُنبأ ثم يؤمر بالتبليغ.

---

(١) سورة النساء / ١٦٥.

(٢) انظر في تفصيل ذلك كتاب «العقيدة الإسلامية» للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني ص ٢٩٨.

الصفات الواجبة للرسل عليهم الصلاة والسلام:

١ ـ **الصدق:** وهو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، وكونهم عليهم الصلاة والسلام صادقين يعني أنّ كلامهم هو الأساس الذي يقاس عليه غيره، وغيرهم إذا خالفهم فهو كاذب.

٢ ـ **الأمانة:** وهي العصمة من الذنوب كلها.

٣ ـ **التبليغ:** قيام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بتبليغ كل ما أمروا بتبليغه.

٤ ـ **الفطانة:** وهي الذكاء، وإيتاء الحجة، فلا يستطيع أحد من الخصوم أن يقيم عليهم الحجة، وكونهم فطناء يعني أنهم المثل الأعلى في العقل، وكل خروج عن الاقتداء بهم انحطاط عقلي.

الصفات المستحيلة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

يستحيل في حقهم أضداد الصفات السابقة: كالكذب، والخيانة، والكتمان، والغفلة، والبلادة.

الجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدِّي إلى نقص مراتبهم

العلية: كالأكل والشرب، وإتيان النساء الحلال، والنوم بأعينهم لا بقلوبهم، والأمراض غير المنفِّرة.

أمّا ما ورد مما يوهم في حقِّ الأنبياء نقصاً وجب تأويله.

وقد افترى اليهود - قاتلهم الله - على الأنبياء أقوالاً وأفعالاً، واختلقوا قصصاً، ودسّوها في التوراة لا يرضاها أفراد الناس في حق أنفسهم، وهي تدل على أن التوراة التي بين أيديهم الآن محرّفة مزوّرة.

وربما اغترّ بها بعض المؤلفين المسلمين فنقلوا في كتبهم ما لا يليق بحق الأنبياء[1].

معجزات الأنبياء:

أيّد الله عز وجل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الدالة على صدقهم لتطمئن لها قلوب الذين آمنوا وتخضع لها أعناق الذين لا يؤمنون.

والمعجزة: هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي

(١) مثال ذلك كتاب «قصص الأنبياء» للثعلبي المسمى بالعرائس. وقد نهى شيخنا محمد الحامد رحمه الله عن قراءته لما يحتويه من طامّات لا يقبلها العقل وقصصاً لا تليق بحق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مقروناً بدعوى النبوة، ويكون الأمر موافقاً لدعواه على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله.

ويلحق ببحث معجزات الأنبياء «كرامات الأولياء» وهي ثابتة في الكتاب والسنة.

والكرامة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد وليٍّ من أوليائه الصالحين من أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي غير مقرونة بدعوى النبوة، وهي في حقيقتها تأييد وتأكيد لرسالة الرسول الذي يتبعه هذا الولي الصالح.

والأولياء وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ألَا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ صدق الله العظيم. ولا يصح بحال من الأحوال الاغترار بأصحاب الأمور الخارقة للعادة إذا لم يكونوا ملتزمين لأحكام الشريعة، متقيِّدين بأوامرها ونواهيها، فإذا لم يكونوا كذلك فهي في حقِّهم استدراج والعياذ بالله.

قال الشافعي رضي الله عنه: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة».

عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

نكل علم ذلك إلى الله عز وجل ونؤمن بهم جميعاً دون حصر بعدد. منهم خمسة وعشرون ذكروا في القرآن الكريم تجب معرفتهم تفصيلاً، بحيث لو عرض على المسلم واحد منهم عرّفه بالرسالة ولم ينكره، فإن أنكره كفر. وهم: سيدنا (آدم - إدريس - نوح - هود - صالح - إبراهيم - لوط - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - أيوب - شعيب - موسى - هارون - ذو الكفل - داوود - سليمان - إلياس - إليَسَع - يونس - زكريا - يحيى - عيسى - محمد خاتم النبيين والمرسلين) صلوات الله وسلامه عليهم وعلى آلهم أجمعين.

أولو العزم من الرسل: (نوح - إبراهيم - موسى - عيسى - محمد) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* * *

الإيمان بالكتب الإلهية

المنزّلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام

لمّا اقتضت حكمة الله عز وجل إرسال الرسل للبشر منّةً ورحمةً أنزل على رسله كتباً تبيِّن للناس أوامر الله ونواهيه وسبل السعادة والهداية. قال تعالى: ﴿كان النّاسُ أمةً واحدةً، فبعث الله النبيينَ مبشِّرينَ ومُنْذرينَ، وأنزل معهم

الكتابَ بالحقِّ ليحكمَ بين الناس ﴾[1]. ورد في تفسير الرازي: «ظاهر هذه الآية يدلُّ على أنه لا نبي إلا معه كتاب منزل فيه بيان الحق، طال ذلك الكتاب أم قصر، ودُوِّن ذلك الكتاب أم لم يُدَوَّن».

والكتب المنزلة أربعة:

١ ـ التوراة   وأنزل على سيدنا موسى عليه السلام.
٢ ـ الزبور   وأنزل على سيدنا داوود عليه السلام.
٣ ـ الإنجيل   وأنزل على سيدنا عيسى عليه السلام.
٤ ـ القرآن الكريم   وأنزل على سيدنا محمد ﷺ.

وأنزل الله عز وجل صحفاً على بعض الرسل، ذكر لنا القرآن الكريم منها صُحُف إبراهيم عليه السلام، وصحف موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إن هذا لفي الصحفِ الأولى * صُحُفِ إبراهيم وموسى ﴾[2]. ونحن نؤمن بها جميعاً ما علمنا منها وما لم نعلم.

والقرآن الكريم أشرف هذه الكتب وأعظمها، وناسخ لجميع ما قبله من الكتب، وحكمه باقٍ إلى يوم القيامة، لا يلحقه تبديل ولا تغيير، وأحكامه تنظم كل شؤون الحياة:

---

(١) سورة البقرة / ٢١٣.
(٢) سورة الأعلى / ١٩ ـ ٢٠.

١ ـ العقائد ٢ ـ العبادات ٣ ـ العقوبات ٤ ـ المعاملات ٥ ـ الأخلاق ٦ ـ قصص الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم للعبرة. وهو أعظم معجزة خالدة للرسول ﷺ.

ويتجلّى إعجاز القرآن في نواح كثيرة منها:

١ ـ الإعجاز البلاغي
٢ ـ الإعجاز التشريعي
٣ ـ الإعجاز العلمي
٤ ـ الإخبار عن المغيّبات والأمم السابقة
٥ ـ تحقق ما وعد به وما أخبر عنه أنه سيقع مستقبلاً.

وهي في جملتها تدلُّ على أنّ القرآن العظيم من عند الله عز وجل وأنه كلامه، ونورد هنا موجزاً لما كتبه العلاّمة الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه القيّم «النبأ العظيم» والذي ساق فيه الأدلة على أن القرآن العظيم كلام الله عز وجل:

١ ـ تبرؤ الرسول ﷺ من نسبة القرآن إلى نفسه ليس إدعاءً حتى يحتاج إلى بيِّنة، ولكنه إقرار يؤخذ به صاحبه.

٢ ـ إن نسبة محمد ﷺ القرآن إلى الله عز وجل لا يمكن أن تكون احتيالاً لبسط نفوذه على العالم، وإلا فلماذا لم ينسب أقواله كلَّها إلى الله (والفرق واضح بيِّن بين

أسلوب القرآن الكريم وأسلوب حديث رسول الله ﷺ).

٣ ـ سيرته المطهّرة قبل النبوة وبعدها تأبَى عليه نقيصة الختل والخداع، إذ كلها صدق صارم دقيق، وطهر كامل شامل، وخضوع تام لسلطان القرآن .

٤ ـ طرفٌ من سيرته فيه أبلغ دلالة:

أ ـ فترة الوحي في حادث الإفك.

ب ـ فترة الوحي عندما سأله الكفار عن أهل الكهف ـ وذي القرنين ـ والروح.

جـ ـ مخالفة القرآن لطبع رسول الله، وعتابه الشديد في المسائل المباحة، مما يدل على انفصال شخصية الوحي عن شخصية رسول الله ﷺ، وإلّا فأيُّ إنسان في الدنيا يؤلف كتاباً ثم يخاطب نفسه فيه ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾!! ﴿عفا الله عنك لِمَ أذنتَ لهم﴾!! ﴿عبس وتولّى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكّىٰ﴾؟! إنه كلام رب العالمين.

د ـ موقف الرسول ﷺ من النص القرآني موقف المفسر الذي يلتمس الدلالات من العبارات ويأخذ بأرفق احتمالاتها، كما حدث في قصة وفاة رأس المنافقين عبدالله بن أُبَيّ، وما فعله رسول الله ﷺ،

ثم نزول الوحي الإلهي: ﴿ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً، ولا تقم على قبره﴾.

لقد كان يجيئه الأمر أحياناً بالقول المجمل والأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزِّل الله عليهم بيانه بعد.

قل لي بربِّك أي عاقل توحي إليه نفسه كلاماً لا يفهم هو معناه، وتأمره أمراً لا يعقل هو حكمته؟!

أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أن رسول الله ﷺ ناقلٌ لا قائلٌ، وأنه مأمورٌ لا آمر! وأن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين.

الإيمان باليوم الآخر

لا يمكن لأيّ عاقل أن يتصوّر أي معنىً للحياة إذا نظر إليها مجتزأة مبتورة «إن صريح العقل يقضي أنّ من حكمة الحكيم أن يفرِّق بين المحسن والمسيء، وحصول هذه التفرقة ليس في هذه الدار، لأننا نرى كثيراً من أهل الإساءة في أعظم الراحة، وكثيراً من أهل الإحسان بالضدّ من ذلك، ولا بدّ أن ينتصف الحكم العدل الرحيم لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين، وهذا الانتصاف لم يحصل في هذه الدار،

فلا بدّ من دار أخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الإنصاف»[1].

والذين لا يؤمنون بالآخرة لا يفقهون لهذه الحياة الدنيا معنىً، ولا يعرفون لها غاية، بل يرونها عبثاً وخواءً[2]... ولذلك فإن كثيراً منهم عندما يستنفدون كل ما يبغون من لذة ومتعة... يسأمون هذه الحياة، فينصرفون إلى المخدِّرات... عالم الأوهام والخيال... ثم إلى الانتحار في أكثر دول العالم رفاهية ماديّة وتوفراً لأسباب المتع المادية...

أما الذين آمنوا فيعلمون أن هذه الحياة طريق إلى حياة أخرى أكمل وأعظم، حياة أبدية لا نهاية لها ولا زوال..

والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بأشراط الساعة ومقدماتها (ظهور الدجال ـ نزول عيسى عليه السلام من السماء ـ خروج يأجوج ومأجوج ـ دابة الأرض ـ ظهور الشمس من مغربها) ويشمل الإيمان بالبرزخ وأحوال القبر (عذابه ونعيمه) ثم البعث حيث يخرج الناس من قبورهم بالجسم والروح، ثم الحشر حيث يحشر الناس للحساب ويشفع رسول الله ﷺ شفاعته العظمى، فيبدأ الحساب،

---

(١) الفيلسوف (كنت) من كتاب قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر رحمه الله.
(٢) يظهر ذلك في مؤلفات سارتر ـ كامو ـ كولن ولسن من كُتّاب الحضارة المادية.

وتنشر الصحف، فيأخذها المؤمنون السعداء بأيمانهم، ويأخذها الكافرون الأشقياء بشمائلهم، ويشهد على الإنسان يوم القيامة أعضاء جسمه، وتشهد عليه الأرض بما فعل على ظهرها من خير أو شر ﴿ يوم تجدُ كلُّ نَفْسٍ ما عملتْ من خيرٍ مُحْضَراً وما عملت مِنْ سوءٍ، تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد ﴾[1].

ثم يمر الناس على الصراط المنصوب على مَتْن جهنم ﴿ وإنْ منكم إلّا واردُها، كان على ربِّك حَتْماً مَقْضِياً * ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً ﴾[2].

ثم يكون الناس فريقين... فريق في الجنة... وفريق في السعير... ﴿ إذْ تبرّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعوا، ورأوا العذابَ وتقطَّعتْ بهمُ الأسبابُ * وقال الذين اتَّبَعوا: لو أنّ لنا كَرَّةً فنَتَبَرّأ منهم كما تبرّأوا منّا، كذلك يُرِيهِمُ الله أعمالَهم حَسَراتٍ عليهمْ وما همْ بخارجينَ من النار ﴾[3].

الإيمان بالقضاء والقدر

معنى القضاء: علم الله جل جلاله للأشياء في الأزل على الصورة التي ستوجد عليها ـ وعلم الله لا يتغير ـ.

---

(١) سورة آل عمران / ٣٠.

(٢) سورة مريم / ٧١ ـ ٧٢.

(٣) سورة البقرة / ١٦٦ ـ ١٦٧.

معنى القدر: إيجاد تلك الأشياء في عالم الظهور على وجه تفصيلي يوافق القضاء السابق ـ فلا يمكن أن تتخلَّف أبداً ـ.

إن الإيمان بالقدر ركن أساسي من أركان الإيمان، وهو في حقيقته إيمان بالصفات الثلاث التي مرّ ذكرها، وهي: ١ ـ علم الله ٢ ـ إرادته ٣ ـ قدرته. فالأمور كلها سبقت في علم الله سبحانه أزلًا، وخصَّصها سبحانه بإرادته العليّة، ويبرزها بقدرته في الوقت المعلوم.

فكل ما كان وما يكون من نعمة أو مصيبة أو نفع أو ضر، هو بتقدير الله تعالى، كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه مسلم وأحمد عن ابن عمر «كل شيء بقَدَر حتى العجز والكَيْس».

وقد يتوهم البعض من هذا أن العبد مجبر لا مخيّر، ثم يبنون على هذا الظن ما تسوّله لهم أنفسهم من عدم المسؤولية، إلى غير ذلك من الظنون ـ والحقيقة أن الإنسان في أفعاله الاختيارية مختارٌ في كسبه للخير أو الشر، إن هذا الاختيار تحسُّه أنفسنا، ولن نستطيع له جَحْداً وإنكاراً إن كان هناك إنصاف وتعقل، والقرآن الكريم يدلُّ لهذا دلالة واضحة، فقد نطق بأن المؤاخذة كانت ﴿بما كانوا يعملون﴾ و﴿بما كانوا يفسقون﴾ و﴿بما كانوا يكسبون﴾، كما أخبر بقيام الحُجة على الخلق ﴿قُلْ فللّهِ الحُجةُ البالغة﴾، ولو

كان الأمر إجباراً فكيف تقوم الحجة عليهم، وهل يَتَأتّى من الرحمن الرحيم أنْ يُجبر عبده على المعصية ثُمّ يعذبُه عليها، وهل يكون على هذا مكانٌ لإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع، والتقدم بالوعد والوعيد، والإنذار والتبشير؟.

إذا فسرنا القضاء بالعلم الإلهي الأزلي الذي سبق من الله تعالى بما سيفعله العبدُ بمحض اختياره فليس فيه معنى الإجبار مطلقاً، وإذا كان القضاء الإلهي هو العلم الأزلي مع تعلّق الإرادة الإلهية بالأشياء أزلاً فلا إجبار أيضاً، ذلك أنّ الإرادة هي التخصيص للشيء بما سيكون عليه، وهذا التخصيص مطابق للعلم دون أن يكون متأخراً عنه في الثبوت، فالعلم والإرادة صفتان أزليتان متصفٌ ربُّنا سبحانَه بهما في الأزل، والمطابقة بينهما كائنةٌ دون سبق العلم على الإرادة، فتعلق الإرادة على وفق العلم من الأزل، والعلم قد انكشفت به الأشياء على ما ستكون عليه، انكشف به: أنّ فلاناً من الناس مثلاً سيعمل السوء بمحض اختياره، وسيكون شقياً، وفلاناً سيعمل الخير بمحض اختياره، وسيكون سعيداً بفضل الله سبحانه وتعالى: ﴿فمنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يَرَه* ومنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ شراً يره﴾ «٧/٨ ـ الزلزلة».

يقول الشيخ العارف جلال الدين الرومي:

«إن الإنسان مفطور على عقيدة الاختيار، وهو يمثل هذه

العقيدة ويطبقها في حياته اليومية، ويقرّر بعمله وسلوكه الاختيار وينكر الجبر، فلا يعاقب الجمادَ ولا يغضب على الحجر والخشب والسيل والنار والريح مهما لحقه الأذى والعنت من هذه الأشياء، أما إذا تعرض إنسان لإهانتك أو هتك عرضك ثُرْتَ عليه، وعاقبته عقاباً شديداً. فدلّ ذلك على أنك تميِّز بين المجبور والمختار، وتعتقد أن الإنسان صاحب اختيار وإرادة، فتحاسبه وتعاتبه وتعاقبه، وتشكوه وتلومه، ولا تقبل له عذراً لأنه مخيّر ليس بمجبور»[١].

فهم الصحابة للقضاء والقدر:

في قصة خروج سيدنا عمر رضي الله عنه إلى الشام ووقوع الطاعون فيها... قال أبو عبيدة رضي الله عنه: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نفرُّ من قَدَر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل هبطت وادياً له عُدْوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله...»[٢].

أقبل شيخ إلى عليٍّ رضي الله عنه بعد انصرافه من صفِّين يسأله:

(١) عن رجال الفكر والدعوة للسيد أبي الحسن الندوي.

(٢) انظر القصة بتمامها في (أخبار عمر) للطنطاوي ص ٩٦.

قال الشيخ: أخبرني عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟

قال علي: والذي فَلَق الحبّة وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً، ولا علونا تَلْعة إلا بقضاء الله وقدره.

قال الشيخ: عند الله أحتسب خطاي، ما أرى لي من الأمر شيئاً!!

قال علي: مَهْ أيها الشيخ! عظّم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيءٍ من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين!!

قال الشيخ: فكيف ساقنا القضاء والقدر؟!

قال علي: ويحك! لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً؟؟ لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأتِ لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولَى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالمدح من المحسن. تلك مقالة عَبَدة الأوثان وجنود الشيطان، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب. إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلَّف يسراً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يخلق السمٰوات والأرض وما بينهما باطلاً ﴿ذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار﴾[1].

---

(١) انظر الجزء الأول من كتاب (ردود على أباطيل) للشيخ محمد الحامد رحمه الله ص ٢١٨. وكتاب من الفكر والقلب، وكبرى اليقينيات للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

أثر عقيدة القضاء والقدر في نفوس المسلمين:

يدّعي الجاحدون أن الإيمان بقضاء الله وقدره مدعاة للتواكل. معينة على الخمول والكسل!! وهذه الدعوى منقوضة من أساسها. فإن الإيمان كما جاء به الإسلام، وثبت بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والسلوك العملي للصحابة الكرام مفروض على المؤمنين في النتائج، لا في الأسباب، فهم مطالبون بالأسباب مفروض عليهم السعي لها والأخذ بها. مطالبون بعد ذلك بأن يتركوا النتائج لله الواحد الأحد. ومن هنا كانت عقيدة القضاء والقدر سرُّ عظمة المسلمين الأوَّلين، لأنهم أخذوا بالأسباب وبذلوا جهدهم في استقصائها إنفاذاً لأمر الله، ولم يتهيَّبوا النتائج الضارة المؤلمة رضىً بقضاء الله ففازوا بالحسنيين.

وانظر أيَّ أفق ذاك الذي يُحلِّق فيه المؤمن عندما يوقن بقول رسول الله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك». والمؤمنون حقاً حين يخرجون إلى الجهاد لا يبالون ما أصابهم في سبيل الله، وتأمل قول أحدهم:

أيُّ يومـيَّ من الموت أفر
يومَ لا يُقـدَرُ أمْ يوم قُدِرْ

يــوم لا يُــقــدر لا أرهــبُـه

ومن المقــدورِ لا يغْـني الـحــذرْ

لتـرى وتلمس أيَّ معنى من معاني البـطولة والشجـاعة والاستبسال قذفتْ به في نفسه عقيدةُ القضاء والقدر، ولم يكن لهـا عنده أيُّ أثـر في إعداد العُـدّة وتحيُّن الفرص، والخروج إلى الصف ومقارعة الأبطال.

وما ابتلِيَ الناس بهذا التواكـل والكسل، إلا يـوم آمنوا بالقضاء والقدر إيماناً معكوساً، فأخذوها في الأسباب، فلم يستعدّوا. ونــوها في النتائج فلم يرضوا، ولا ذنب في هذا العكس للعقيدة ولا للإيمان[1].

انظر أيُّ أفق يحلِّق فيه المؤمن، وأيُّ طمأنينة تشيع في جنبات نفسه عندما يوقن بقول رسول الله ﷺ: «واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعـوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قـد كتبه الله لـك، وإن اجتمعوا على أن يضـروك بشيء، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك».

يقول العارف الكبير جلال الدين الرومي:

«إن الله وهب الإنسـان الأعضـاء والجـوارح، ومـواهب

---

(١) رسالة (الله في العقيدة الإسلامية) للإمام حسن البنا رحمه الله تعالى.

وطاقات، فدلّ ذلك على أنه يريد منه السعي والجهد... فالتوكل الصحيح أن لا نقصّر في جهدنا، ثم نعتمد في نتيجة السعي على الله تعالى، فالسعي شكر لنعمة القدرة، والجبر كفران لهذه النعمة... فاكسب وصبَّ عرق الجبين، ثم توكل على الرزاق ذي القوة المتين، إن السعي والكسب سنة الأنبياء والمرسلين، وإن الدنيا ليست الذهب والفضة، والأهل والأولاد. إن الدنيا المذمومة، الغفلة عن الله أما قال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح».

إنّ تعطّلَ الصالحين وقعودهم عن الجهاد، وتوكلهم العجمي الذي لا يتفق وتعاليم الإسلام أفضى إلى سيادة الفسّاق والظالمين، الذين سفكوا دماء الأبرياء، وقتلوا العلماء والصلحاء، وجاروا في الحكم، وخانوا في أموال الناس»[١].

---

(١) المثنوي ص ٢٧ ـ ٣٨ ـ ١٣١ / من كتاب رجال الفكر والدعوة في الإسلام للسيد أبي الحسن الندوي.

الفصل الرابع

معنى الشهادتين

ومقتضى الإيمان بهما

معرفة معنى الشهادتين واجبة لقوله تعالى: ﴿ فاعلمْ أنه لا إله إلا الله ﴾ وعلمُها معرفة معناها.

فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله إجمالاً: أتكلم بلساني وأصدِّق بقلبي أن المعبود بحقٍّ هو الله سبحانه وتعالى وحده.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: أتكلم بلساني وأذعن بقلبي أنَّ سيدنا محمداً رسول الله مرسل من عند الله، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ أيْ من الجهل والكفر إلى العلم والإسلام، والمراد من الشهادتين نفي الألوهية عمّا سوى الله، وإثباتها لله تعالى، مع الإقرار برسالة سيدنا محمد ﷺ، فلا يصح الإيمان والإسلام بدون شهادة أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. واعلم أنّ النطق بالشهادتين بعد البلوغ فرض على كل مكلف مرّة واحدة في عمره بنية الفرض، وإلا فيكون عاصياً مدة حياته، وإذا مات يموت عاصياً. قال الإمام السنوسي رحمه الله تعالى: «فعلى العاقل

أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر»[1].

قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ ما قلتُه أنا والنبيون مِنْ قبلي لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له»، رواه مالك في الموطأ، وزاد الترمذي في روايته: «له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير»، وقال حديث حسن. وروى هو والنسائي أنه ﷺ قال: «أفضلُ الذكرِ لا إلهَ إلا الله، وأفضلُ الدعاءِ الحمدِ لله»، ورواه ابن حبان والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي.

مقتضى الإيمان بالشهادتين:

١ ـ الكفر بالطاغوت والتبرؤ من كل عقيدةٍ ومنهجٍ سوى الإسلام: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغوتِ ويُؤمنْ بِالله فقد استمسك بالعُرْوة الوُثْقَى لا انفصام لها﴾[2] ﴿ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقبلَ منه﴾[3].

٢ ـ الاستسلام الكامل لشريعة الله سبحانه وتعالى: ﴿أفغيرَ

---

(١) أم البراهين للإمام السنوسي.
(٢) سورة البقرة / ٢٥٦.
(٣) سورة آل عمران / ٨٥.

دينِ الله يَبْغُون وله أسلم مَنْ فيْ السَّمٰواتِ والأرض طَوْعاً وكَرْهاً وإليه يُرجعون ﴾[1]، ﴿ أفَحُكْمَ الجاهليَّة يَبْغُون، ومَنْ أحسنُ مِنَ الله حُكْماً لقومٍ يوقنون ﴾[2].

٣ ـ اتّباع الرسول ﷺ وتحكيمه في كل شؤون الحياة: ﴿ فإنْ لم يستجيبوا لك فاعلمْ أنَّما يتَّبعون أهواءهم، ومَنْ أضلُّ ممَّن اتَّبع هواه بغير هُدىً من الله؟ إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[3].

﴿ ألم ترَ إلى الذين يَزْعُمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك، وما أُنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطانُ أن يضلَّهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، رأيتَ المنافقين يصدّون عنك صُدوداً ﴾[4].

﴿ فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكموكَ فيما شَجَرَ بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ، ويسلِّموا تسليماً ﴾[5].

٤ ـ التوكل على الله والاستعانة به في كل الأمور، وقصده

(١) سورة آل عمران / ٨٣.
(٢) سورة المائدة / ٥٠.
(٣) سورة القصص / ٥٠.
(٤) سورة النساء / ٦٠ ـ ٦١.
(٥) سورة النساء / ٦٥.

وحده سبحانه مع الأخذ بالأسباب وإحكامها إحكاماً صحيحاً، وبقدر توكلنا على الله سبحانه اعتماداً عليه جلّ وعلا، نعتني بالأسباب اقتداءً برسول الله ﷺ، «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. . .» الحديث.

٥ ـ أن يكون الولاء لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين، فالمسلم يوالي من والى الله، ويعادي من عادى الله دون أن يكون للمصالح الشخصية والشهوات النفسية أي علاقة في هذه المودة أو المعاداة. والرابطة بين المؤمنين هي رابطة عقيدة فلا أنساب ولا عصبيات. وقد ذمَّ الله سبحانه الذين يوالون أعداء الله، ووصمهم بالنفاق ومرض القلب، فقال سبحانه: ﴿ فترى الذين في قلوبهم مَرَضٌ يسارعون فيهم يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾.

وأخرج الذي يوالي الأعداء من دائرة المؤمنين فقال: ﴿ ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرينَ أولياءَ مِنْ دونِ المؤمنين. ومَنْ يفعلْ ذلك فليس من الله في شيءٍ ﴾ «٢٨ ـ آل عمران».

وقال تعالى: ﴿ لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسولَه ﴾ «٢٣ ـ المجادلة».

قال سيدنا عبدالله بن مسعود: «لو أن رجـلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يومَ القيامة مع مَنْ يحب».

الفصل الخامس

مراتبُ الإيمان

اعلم يا أخي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص من جهة المُؤْمَن به، وهو كل ما جاء به الرسول ﷺ. وإنما يزيد وينقص، أي يتفاوت قوة وضعفاً، بحسب الأعمال وثمرتها فتزيده الأعمال الصالحة قوة وتمكناً، فيشرق نوره في القلب وضياؤه في الروح، وتضعفه المعاصي والآثام وربما تذهب به بالكلية والعياذ بالله تعالى. قال بعض السلف: «المعاصي بريد الكفر»[1] أي الممهِّد للكفر، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه حذيفة رضي الله عنه: «تُعرَضُ الفتنُ على القلوب، كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها، نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاء، حتى تصيرَ على قلبين: أبيضَ مثل الصّفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السمواتُ والأرض، والآخر أسودَ مُرباداً، كالكوز مُجَخِّياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشربَ من هواه»[2]. وقال ﷺ فيما يرويه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «القلوب

---

(١) ذكره ابن حجر في شرح الأربعين.

(٢) رواه مسلم.

أربعة، قلبٌ أجرد فيه مثلُ السراج يزهر، وقلبٌ أغلف مربوطٌ على غلافه، وقلبٌ منكوس، وقلبٌ مصفّح، فأما القلبُ الأجردُ فقلبُ المؤمن فسراجُه فيه نورُه، وأما القلبُ الأغلفُ فقلبُ الكافر، وأما القلبُ المنكوس فقلبُ المنافق الخالص عرفَ ثم أنكر. وأما القلبُ المصفّح، فقلبٌ فيه إيمان ونفاق؛ ومَثَلُ الإيمان فيه كمَثَلِ البقلةِ يمدُّها الماءُ الطيب، ومثلُ النفاق فيه كمثل القَرْحة، يمدّها القيحُ والدمُ فأي المادتين غلبت على الأخرى، غلبت عليه»[1].

مراتب الإيمان:

والناس في قوة العقيدة وضعفها أقسام كثيرة، بحسب وضوح الأدلة، وتمكنها من نفوس كل قسم. ولنوضح لك ذلك بضرب المثال الآتي:

لو أنّ رجلاً سمع بوجود بلد لم يره، كاليمن مثلاً، من رجل آخرَ غير معروف بالكذب فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقده، فإذا سمع هذا الخبرَ من عدّة رجال زاد به ثقة، وإنْ كان لا يمنعه ذلك من أنْ يشك في اعتقاده إذا عرضت له الشبهات، فإذا رأى صورته زاد اعتقاده بوجوده، وأصبح

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد حسن، وذكره ابن كثير في تفسيره.

الشك متعسراً عليه أمام قوة هذا الدليل، فإذا سافر وبدَت له أعلامه وبشائره زاد يقينه وزال شكه، فإذا نزلـه ورآه رأيَ العين، لم يعد هناك مجال للريبة، ورسخت في نفسه هذه العقيدة رسوخاً قوياً حتى يكون من المستحيل رجْوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها، فإذا سار في طرقه وشوارعه، ودرس شؤونه وأحواله ازداد به خبرةً ومعرفةً، وكان ذلك أمراً موضِّحاً لاعتقاده زائداً عليه.

إذا علمت هذا فاعلم أن الناس أمام العقائد الدينية أقسام كذلك: منهم من تلقّاها تلقيناً واعتقدها عادة، وهذا لا يُؤمَنُ عليه من أن يتشكّك إذا عرضت له الشبهات. ومنهم من نظر وفكَّر فازداد إيمانه، وقوي يقينه. ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر، واستعان بطاعة الله تعـالى وامتثال أمـره، وإحسان عبادته، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرته ما أكملَ إيمانه وأتم يقينـه، وثبَّت فؤاده ﴿ والذينَ اهتـدَوْا زادهم هُدىً وآتاهم تقواهم ﴾[1] «١٧ ـ محمد».

وقد جعل شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري الإيمان على أقسام، منها:

١ ـ إيمان عن تقليد وهو الإيمان الناشىء عن الأخذ بقول

(١) رسالة العقائد للإمام البنا رحمه الله تعالى.

الشيخ من غير دليل.

٢ ـ وإيمان عن علم وهو الإيمان الناشىء عن معرفة العقائد بأدلّتها[١].

فالتقليد للعوام، والعلم لأصحاب الأدلّة وهم العلماء.

وقال الإمام مَلّا علي القارىء: «فإنّ تفاوتَ نورِ كلمة التوحيد في قلوب أهلها لا يُحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس مَنْ نورُها في قلبه كالشمس، ومنهم كالقمر، ومنهم كالكوكب الدريّ، ومنهم كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج الضعيف... وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظمت مرتبتها، أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوتها، بحيث ربما وصل إلى حال لا يُصادف شبهةً ولا شهوةً إلا أحرقها»[٢].

وإليك ما قاله الإمام البنا رحمه الله تعالى في حديثه عن عناصر العقيدة الإسلامية:

«تقوية الصلة بين الوجدان الإنساني والخالق جلّا وعلا، حتى يصل الإنسان بذلك إلى نوع من المعرفة الروحية، هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعاً. وذلك أن الوجدان

---

(١) حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٣.

(٢) شرح الفقه الأكبر ص ٧٨/٨٩.

الإنساني أقدر على كشف المستورات غير الماديّة من الفكر المحدود بقيود المادة، ونتائج الأقيسة الحسيَّة، فالإسلام كثيراً ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواصّ النفسانية الكامنة في الإنسان لتسمو إلى حظائر الملأ الأعلى وتستشعر لذة معرفة الله تبارك وتعالى ﴿ الذين آمنوا وتَطْمئنُ قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئنُ القلوبُ ﴾ «٢٨ ـ الرعد». وإن القلب الإنساني إذا صفا وأشرق تذوَّق حقيقةً لذة الإيمان بالله تعالى، ولقد سُئل أحدُ العارفين عن الأدلّة التي أقنعته بالإيمان بالله فابتسم وقال: أغنى الصباحُ عن المصباح، متى احتاج النهارِ إلى دليل؟.» إهـ[١].

هذه المعرفة الذوقيّة الوجدانيّة، هي المرادة من حديث الإحسان «أن تعبدَ الله كأنّك تراه، فإن لم تكنْ تراه فإنّه يراك»، وهي المرادة في قول سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كُنّ فيه وجد بهنّ طَعْمَ الإيمان: منْ كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحبَّ عبداً لا يُحبه إلا لله، وأن يكره أنْ يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه، كما يكره أن يُلقَى في النار» أخرجه البخاري ومسلم.

ولعَمْري لا يمكن أنْ تُؤتي شجرةُ الإيمان أُكلَها كلَ حين بإذن ربها ما لم يذقْ المؤمن طعم الإيمان ولذة اليقين، يقول

---

(١) رسالة (الله، في العقيدة الإسلامية) للإمام البنا رحمه الله تعالى.

السيد أبو الحسن النّدْويّ: «إنّه لا يستطيع أحدٌ أنْ يترفع عن أهواء نفسه، وعاداته، ومألوفاته، ومصالحه ومنافعه، وأغراضه وشهواته، ولا يمكن لأحد أن يترفع عن المستوى السافل الذي أشار الله إليه بقوله: ﴿ولكنّه أخلدَ إلى الأرض واتّبع هواه﴾ إلا إذا تجلَّى فيه اليقين والحب، فأصبح كالبرق الخاطف في الليل البهيم، أو كالشعلة المتأججة التي لا تخمد نارها ولا يهدأ أوارها»(١).

ويقول أيضاً: «الإخلاص والربّانيّة، والحنان والعاطفة، والإقدام والشهامة، التي نحتاج إليها للتضحية والفداء، وبذل المهج والأرواح، والجهاد والكفاح والتجديد والإصلاح... لا تنشأ ولا تظهر ـ في أكثر الأحيان ـ إلا بعد صفاء الروح، وتهذيب النفس، والرياضة (أي المجاهدة) والعبادة، **لذلك نرى أن أكثر من قاموا بدور التجديد والجهاد في تاريخ الإسلام، كانوا يتمتعون بمكانة روحيّة سامية**»(٢).

طريق الوصول إلى الإيمان الكامل:

١ ـ لا بد أولاً من عقيدة سليمة، وفكرة صحيحة، تثمر سلوكاً صالحاً. وانحراف العقيدة أو الفكرة لا بد أن يثمر انحرافاً في السلوك، فاعمل على تلقي العلم الصحيح،

(١) (٢) ربانية لا رهبانية ص ١٠٧ ـ ١٠٦.

لتكون عقيدتُك سليمةً وفكرتك عن الإسلام صحيحة.

٢ ـ لا بد ثانياً من أن تكون عبادتك صحيحة، وهي التي توافر فيها عنصران: الإخلاص، وكونها على السنة. قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ليَبْلوكم أيّكم أحسنُ عملاً﴾ قال أخلصه وأصوبه.

وعليك يا أخي بالتزام طاعة الله تعالى، وغض البصر، والعزوف عن مجالس المنكر، والإكثار من تلاوة كتاب الله عز وجل، والمداومة على ذكر الله سبحانه، فهو للقلوب كالهواء للأبدان قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يذكرُ ربَّه، والذي لا يذكره، مثلُ الحي والميّت»[2].

قال الشيخ الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ذكر الله للإنسان، كالماء للسمك... فانظرْ كيف لا يعيش السمك بعيداً عن الماء!!؟» وقال سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى: «وليكنْ لكلٍ منا مجلسٌ مع ربِّه سبحانه، يتلو كتابه، ويذكرُه بما يشاء من صيغ الذكر، فإنّ الذكر يَصقل القلوب، ويُهذِّب النفوس، ويُنعش الأرواح، وما خيرُ المسلم إنْ كان جافاً لا يرقِ له قلب، ولا ينهمر منه دمع، إنّ قساوة القلب

(١) سورة الأحزاب / ٤١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي موسى الأشعري.

تُداوَى بذكر الله سبحانه»[١]. وقال سيدي الشيخ محمد الهاشمي: «إنّ وجودَه تعالى في القلب نورٌ وأُنس وعزّ وغنى، ووجودُ الأغيار فيها ظلمةٌ ووحشة وذُل وفقر»[٢].

٣ ـ البيئة الصالحة: ولا بد لك يا أخي من صُحبة الأخيار الصالحين، وأهلِ المعرفة بالله، ومِنْ علامتهم: الاشتغالُ بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، والتزام أمر الشرع ونهيه في صدق وطاعة، والقيامُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوة وإيمان، إنّ صحبة هؤلاء تُليِّن القلوبَ، وتُطهّر من الذنوب، وهي بيئة طيّبة يحيَى فيها القلب حياة طيّبة[٣].

٤ ـ القُدوة: وقدوتنا العظمى، وأسوتنا الحسنة سيّدنا ومولانا رسول الله ﷺ، ومنْ كان على نهجه من العلماء العاملين المخلصين المقتفين أثره بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم. قال سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله: «السيرُ بدون مرشد عالم قد لا يفضي إلى الغاية المرجوّة، فلا بد لكم منه، وكما لا يكون المرء طبيباً بمطالعة الكتب فقط دون

---

(١) ردود على أباطيل ص ٣٣١.

(٢) مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة.

(٣) الروحانية الاجتماعية في الإسلام. فصل من كتاب تذكرة الدعاة للأستاذ البهي الخولي.

أن يدخل دورَ الطب الرسمية، ثُمّ بعد النجاح في الامتحان يعمل في المشافي تحت نظر الأطباء، كما لا يكون الطبيب طبيباً إلا بهذا، لا يكون السَّيْر إلى الله تعالى مضمون النتائج إلا بصحبة عالم تقي، نقي، وَرِعٍ، قد تربّى بصحبة غيره، وغيرُه بغيره، وهكذا إلى أن ينتهي الأمرُ إلى السيد الأعظم حضرة سيدنا رسول الله ﷺ»[1].

وقال السيد أبو الحسن النَّدْوي: «إنّ مرد كل هذا الفساد في مختلف نواحي الحياة، ورأسَ البلاء وأصل الشقاء، هو عدم الإخلاص، وسوء الأخلاق، وإنّ أكبر واجب ومهمة في هذا العصر، هو إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما، وأكبر وسيلة للحصول عليهما هو الحب... والطريق إلى الحب الذكر والصحبة، وعِشرةُ عبادِ الله الصالحين والعارفين»[2].

ويقول أيضاً: «فإنّ الشمعة لا تستضيء إلا بالشمعة مثلِها، والصدق والإخلاص لا يُوجدان إلا عند المخلصين الصادقين»[3].

وقد يتساءل المؤمن ونفسه مشوقة توّاقة للوصول إلى الإيمان الكامل... ما هي علائم أولئك الذين يحملون هذه

(١) ردود على أباطيل ص ٣٣٠.
(٣،٢) ربانية لا رهبانية ص ٣٤ ـ ٤٥.

الشعلة... شعلةَ الإخلاص والإيمان واليقين؟؟

يقول الأستاذ الكبير الشيخ عبد الباري النَّـدْوي، مجيباً على تساؤلنا في كتابه القيّم: «بين التصوّف والحياة» تحت عنوان:

علائم الشـيخ الكامل:

١ ـ أنْ يحمل من العلم القدْرَ الذي لا غنى عنه[1].

٢ ـ أنْ يكون محافظاً على الشريعة في العقيدة، والعمل، والخلق جميعاً.

٣ ـ أنْ لا يكـونَ حريصـاً على الدنيـا، ولا يـزعمُ لنفسـه الكمال، لأنّه شعبةٌ من حب الدنيا.

٤ ـ أنْ يكون قد قضى مدة في صحبة شيخ كامل.

٥ ـ أنْ يُحسنَ العلماءُ والمشيخة المعاصرون المنصفون الظنَّ به.

٦ ـ الـذين يبايعـونه يصبـح أكثرهم أحسن حـالة من حيث التمسكُ بالشرع، وقلةُ الحرص في الدنيا.

---

(١) قال الجنيد رحمه الله تعالى: «من لم يسمع الحديث، ويجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه من المتأدِّبين أفسد من اتبعه».

٧ ـ أنْ يعطِف ويحدِبَ على حال مريديه في تعليمهم وتلقينهم. وكلما رأى فيهم سوءاً أو سمعه نَعَى عليهم، ومنعهم منه، لا أنْ يدعَهم على حالهم كيفما كان[1].

٨ ـ الجالس في صحبته يشعر بالنقصان في حب الدنيا، والزيادة والتقدم في حب الله.

٩ ـ أن يكون هو نفسه ذاكراً مشغولاً، إذ بغير العمل أو بدون عزمه لا تحصل البركة في التعليم.

١٠ ـ يجب أنْ لا يلتمس فيه اضطراب الناس من تأثير إلقائه، والتوجه منه، لأن ذلك ليس مما يلزم للولاية. والحقيقة أنهما عمل نفسي يشتد ويعظم بالتمرين، ولا يختصان بالتقوى، بل تجد الكافر يقدر على ذلك»[2].

وقال الشيخ العارف ابن عجيبة في شرحه للحكم العطائية:

«ومن فيه خمس لا تصح مشيخته: الجهل بالدين، وإسقاط حرمة المسلمين، ودخولُ ما لا يعني، واتباع الهوى

(١) وأن يعلق قلوبهم بالله، لا بشخصه وذاته، فإن ذلك من أكبر علامات إخلاصه.

(٢) بين التصوف والحياة ص ٢٢٠.

في كل شيء، وسوء الخلقِ من غير مبالاة»[1].

وما ألطف قول العارف الكبير مولانا جلال الدين الرومي:

رأيتُ الشيخ بالمصباحِ يسعَى ... له في كل ناحية مجالُ!!
يقول: مللتُ أنعاماً وبهماً ... وإنساناً أريد، فهل يُنال؟؟
فقلنا ذا محالٌ.. قد بحثنا.. ... فقال: ومُنيتي هذا المحال

* * *

(١) إيقاظ الهمم شرح الحكم ص ٧٥.

الفصل السادس

ثمرات الإيمان

كان العالم قبل بعثة المصطفى ﷺ غارقاً في ظلام الجاهلية، يسوده الظلم والعبودية، وتجتاحه موجة من الترف الفاجر، والحرمان التاعس، وتغشاه غاشية من الكفر والضلال. فلما بعث الرسول ﷺ في هذا المجتمع الحائر، حلّ عقاله، وفكّ إساره، ثم حلّ منه محل الروح والنفس وشغل منه مكان القلب والعين، وهو البشر الذي جمع الله له أبهى صفات الجمال والكمال، وأبلغ معاني الحسن والإحسان، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أرَ قبله ولا بعده مثله، فاندفع إليه الحب الصادق، كما يندفع الماء إلى الحدور، وانجذبت إليه النفوس والقلوب والأرواح على ميعاد، وأحبه رجال أمته وأطاعوه حباً وطاعة لم يُسمع بمثلهما في تاريخ المحبِّين، وانحلت عقدة الشرك الكبرى في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، وجاهدهم رسول الله ﷺ جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي، آمنوا بالله فانقلبت حياتهم

وتغلغل الإيمان في أحشائهم وجرى منهم مجرى الروح والدم، فاقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها، وغمر العقل والقلب بفيضانه، فأصبحوا رجالاً لا كالرجال، وظهر منهم من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة، ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حيّر العقول ولا يزال موضع دهشة منه إلى الأبد، وعجز العلم عن تعليله بشيء غير الإيمان الكامل العميق.

ليتك تصغي معي إلى قول أسعد بن زرارة في ليلة العقبة الخالدة:

«يا رسول الله.. إن لكل دعوة سبيلاً، إنْ لين وإن شدّة، وقد دعوتَ اليوم إلى دعوة متجهِّمة للناس متوعِّرة عليهم، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك. ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس، من الجوار والأرحام، القريب والبعيد، وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك. ودعوتنا ونحن جماعة في دار عزٍّ ومَنَعة لا يطمع فيها أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك. وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله على رشده والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألستنا وصدورنا وأيدينا، إيماناً بما جئت به، وتصديقاً بمعرفة ثبتت

في قلوبنا، نبايعك على ذلك، ونبايع ربَّنا وربَّك، يد الله فوق أيدينا ودماؤنا دون دمك، وأيدينا دون يدك»[1].

وإليك بعضَ ثمرات الإيمان التي أينعت في نفوس الصحابة بعد أنْ بذر بِذرتها رسولُ الله ﷺ. وشجرة الإيمان يمكن أنْ تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها في نفس كل مؤمن إذا بلغت بذرة الحق القرارةَ من القلب، وسُقيت بنور العمل الصالح، وتعهدها صاحبُها وحماها من كل ما يضرُ بها.

١ ـ الشجاعة النادرة، وحبُ الشهادة في سبيل الله:

لقد بعث الإيمان بالآخرة في قلوب المسلمين، شجاعةً خارقةً للعادة، وحنيناً غريباً إلى الجنّة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلَّت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي عين، فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل، لا يلوي على شيء، وجعل منهم الإيمانُ بالقدر رجالاً لا يهابون الموت، ولا يخافون انقطاع الرزق. وسكن في سويداء قلوبهم حبُ الشهادة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وأصغَوا بقلوبهم إلى قول الله سبحانه: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تكونُوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضَرَبُوا في الأرض أو كانوا

---

(١) حياة الصحابة جـ١ ص ١٥٠.

غُزّىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، ليجعلَ الله ذلك حَسْرةً في قلوبهم، والله يُحيي ويُميت، والله بما تعملون بصيرٌ * ولئنْ قُتلتمُ في سبيل الله أو مُتُّمْ لمغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ مما يجمعون * ولئِنْ مُتُّمْ أو قُتلتم لإلى الله تحشرون ﴾[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ولا تَحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربهم يُرزقون * فَرِحينَ بما آتاهمُ الله من فضلهِ، ويستبشرونَ بالذين لم يَلحَقوا بهم مِنْ خلفِهم، ألاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾[2].

وسمعوا قولَ المصطفى ﷺ: «والذي نفسي بيده لولا أنّ رجالاً من المؤمنين لا تَطيبُ أنفُسهم أنْ يتخلَّفوا عنّي، ولا أجدُ ما أحملُهم عليه، ما تخلَّفتُ عن سَريةٍ تغزو في سبيل الله. والذي نفسي بيده لَوددْت أنّي أقتلُ في سبيلِ الله ثُمّ أحيا، ثُم أُقتل، ثُم أحيا، ثم أُقتل، ثم أحيا، ثم أُقتل»[3]. وقولَه عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، ما مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل الله إلا جاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسكٍ»[4].

وسألوا رسول الله ﷺ عن عملٍ يعدِل الجهادَ في سبيل الله

---

(١) سورة آل عمران / ١٥٦ ـ ١٥٨.
(٢) سورة آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧٠.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم

قال: «لا تستطيعونه»، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه» ثم قال: «مَثلُ المجاهدِ في سبيل الله كمثلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآيات الله لا يفترُ من صيام ولا صلاةٍ حتى يرجِعَ المجاهدُ»[1].

أخرج البخاري ـ واللفظُ له ـ ومسلمٌ والنَّسائي عن أنس ابنِ مالك رضي الله عنه قال: «غابَ عمّي أنسُ بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين؛ لَئِنْ الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَيَنّ الله ما أصنع!! فلمّا كان يومُ أحدٍ وانكشف المسلمون فقال: اللهم إنّي أعتذرُ إليك ممّا صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم، فاستقبله سعدُ بن معاذ رضي الله عنه، فقال يا سعد بن معاذ الجنةُ وربِّ النَّضْر، إنّي أجدُ ريحَها من دون أُحد. قال سعد فما استطعت يا رسولَ الله ما صنع؟

قال أنس فوجدنا به بِضعاً وثمانينَ ضَربةً بالسيف، أو طعنةً برمح، أو رَمية بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مثّل به المشركون، فما عَرَفه إلا أختُه ببَنانه».

عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول:

---

(١) رواه الستة إلا أبا داوود.

قـال رسـول الله ﷺ: «إنّ أبـواب الجنّـة تحت ظـلال السيوف» فقام رجل رَثُّ الهيئة فقال: يا أبا موسى، أأنت سمعتَ رسول الله ﷺ يقول هـذا؟ قال: نعم، فـرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السـلام، ثم كسر جَفْن سيفـه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قُتل»[1].

وانظر أيَّ معنى وَقَر في نفس سيدنا عمر رضي الله عنه، حتى أصبح يظُن أنّ المؤمن يجب أنْ يُقتل في سبيل الله شهيداً، لا أنْ يموت على فراشه، استمع إليه يقول:

«لمّا توفي عثمانُ بن مظعون رضي الله عنه وفاةً لم يُقتل، هبَطَ من نفسي هَبْطةً ضخمةً، فقلت: انظروا إلى هذا الذي كان أشدَّ تخلّياً من الدنيا، ثم مات ولم يقتـل، فلم يزل عثمانُ بتلك المنزلة من نفسي حتى تُوفي رسولُ الله ﷺ، فقلت: ويْكَ إن خيارنا يموتون، ثم تُوفي أبو بكر رضي الله عنه، فقلت: ويْكَ إن خيارنا يموتون، فرَجَع عثمان رضي الله عنه في نفسي إلى المنزلة التي كان بها قبل ذلك»[2].

قال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يوم اليـرموك: قاتلت رسولَ الله ﷺ في مواطن، وأفِرُّ منكم اليوم؟! ثم نادى

---

(١) رواه مسلم.

(٢) كذا في منتخب كنز العمال جـ٥ ص ٢٤٠. وحياة الصحابة الجزء الأول.

مَنْ يبايعُ على الموت؟ فبايعه عمُّه الحارثُ بن هشام، وضرار ابن الأزور رضي الله عنهما في أربع مائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدام فسطاط خالد رضي الله عنه، حتى أُثْبِتوا جراحاً، وقُتِلوا إلا من برأ[1].

٢ ـ تحمل الشدائد في سبيل الله:

عن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ مرّ بعمّار وأهلِه وهم يعذَّبون فقال: «أبشروا آلَ ياسر فإنّ موعدكم الجنة»[2].

وعن عثمانَ رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذَّبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام، فقال أبو عمار: يا رسول الله الدهرَ هكذا. !؟ فقال: «صبراً يا آل ياسر. اللهم اغفر لآل ياسر وقد فَعلْتَ»[3].

عن سعيد بن جُبير قال: قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أكانَ المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم. واللهِ إنْ كانوا ليضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطِّشونه حتى ما يقدِرُ أن يستويَ جالساً من شدة الضرِّ الذي به، حتى يُعطيَهم ما

---

(١) أخرجه الطبري وابن كثير.

(٢،٣) حياة الصحابة الجزء الأول صفحة (٤٢٩ ـ ٤٤٧).

سألوه من الفتنة[1].

٣ ـ عزة المؤمنين:

ورَفَعَ الإيمان بالله رأس المؤمنين عالياً وأقام صفحة عنقهم فلم تُحْنَ لغير الله أبداً. لا لملك ولا لحَبْرٍ من الأحبار ولا لرئيس ديني ولا دنيوي. وملأ قلوبَهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت فيها وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة، فإذا نظروا إلى الملوك وما هم فيه من ترف ونعيم وزينة وزُخرف فكأنَّهم ينظرون إلى صُور ودُمىً قد كُسيت ملابس الإنسان.

عن أبي موسى قال: «انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه وعُمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سماطين، وقد قال له عمرو وعمارة إنّهم لا يسجدون لك، فلمّا انتهينا بدَرَنا مَنْ عندَه من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك.. فقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: **لا نسجد إلا لله**».

أرسل سعد رضي الله عنه قبل موقعة القادسية رِبعيَّ بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق والزرابي، وقد جلس على سرير من

---

(١) حياة الصحابة الجزء الأول صفحة (٤٢٩ ـ ٤٤٧).

ذهب، ودخل رِبْعيٌّ بثياب صَفيقة مُخلولقةٍ، وتُرس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبَها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحُه ودرعه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إنّي لم آتكم، وإنّما جئتكم حينما دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رُمحه فوق النمارق فخرّق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام».

٤ ـ الثباتُ أمام المطامع والشهوات:

حدّث الطبري قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض (الغنائم) أقبل رجل بحقٍّ معه فدفعه إلى صاحب الأقباض. فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط!! ما يعدله ما عندنا وما يقاربه، فقالوا: هل أخذتَ منه شيئاً، فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً، فقالوا من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمَدوني ولا غيركم ليقرِّظوني. ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأَتْبَعُوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

٥ ـ سخاء المؤمنين:

عن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبو ذر رضي الله عنه: يا ابن أخي كنتُ مع رسول الله ﷺ فقال لي: «يا أبا ذر ما أُحبُ أنّ لي أُحُداً ذهباً وفضة أنفقه في سبيل الله أموتُ يوم أموت أدُعُ منه قيراطاً».

أخرج مالكٌ في الموطأ أنّه بلغه عن عائشة زوجِ النبي ﷺ ورضي الله عنها أنّ مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلتُ. فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يُهدى لنا شاةً وكفنَها (أي ما يغطيها من الأرغفة) فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك.

٦ ـ ورع المؤمنين:

أتى أبو بكر رضي الله عنه بطعام فأكله، ثم قيل له جاء به النعمان، قال: فأطعمتموني كِهانة ابن النعمان، ثم استقاء. وشرب عمر رضي الله عنه لبناً فأعجبه، فسأل الذي سقاه من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء فإذا نَعَم من نَعَم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لنا من ألبانها فجعلته في سقائي هذا. فأدخل عمرُ أصبعَه فاستقاء.

عن المِسور بن مخرمةَ رضي الله عنه قال: كنا نلزم عمر ابن الخطاب نتعلّم منه الورع.

٧ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى: ﴿كنتم خيرَ أمة أخرجت للنَّاس تأمرونَ بالمعروف وتَنهَوْن عن المنكر﴾.

قال أبو بكر رضي الله عنه: «يا أيُّها الناسُ إنَّكم تقرؤون هذه الآية ﴿يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم لا يضُركم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتم﴾، وإنَّكم تضعونها على غير مواضعها، وإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الناسَ إذا رأوا المنكر ولم يُغيِّروه أوشك أنْ يَعمَّهم الله بعقاب»[1].

وعند ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه أنَّه قال في إحدى خطبه: «أيُّها الناسُ إنما هلكَ مَنْ هلك قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم تنهَهم الربَّانيُّون والأحبارُ، كلما تمادَوْا في المعاصي ولم تنههم الربانيون والأحبار أخذَتْهم العقوباتُ، فمُرُوا بالمعروف وانهَوْا عن المنكر قبلَ أن يَنزلَ بكم مثلُ الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرِّب أجلاً». وأخرج مسدّد

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

والبيهقي - وصحّحه - عن علي قال: «الجهاد ثلاثة: جهادٌ بيد، وجهادٌ بلسان، وجهادٌ بالقلب، فأول ما يُغَلب عليه من الجهاد جهادُ اليد، ثم جهادُ اللسان، ثم جهادُ القلب، فإذا كان القلبُ لا يعرفُ معروفاً ولا ينكر منكراً نُكِسَ وجُعل أعلاه أسفَلَه»(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهَونّ عن المنكر، ولتحضُّنّ على الخير أو ليُسحتنَّكم الله جميعاً بعذاب، أو لَيُؤَمَّرنّ عليكم شراركم ثم يَدْعُوا خيارُكم فلا يُستجاب لهم»(٢).

وعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فاكفهروا في وجوههم»(٣).

٨ ـ رفعة المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ ولا تَهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلَوْن إنْ كنتم مؤمنين ﴾.

عندما يغرق المجتمع في شهواته الهابطة، ويمضي مع

(١، ٢) حياة الصحابة حـ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣.
(٣) المصدر السابق نفسه.

نزواته الخليعة، ويلصق بالوحل والطين حاسباً أنه يستمتع وينطلق من الأغلال والقيود. وتعِزُّ في هذا المجتمع كلُّ متعة بريئة وكل طيبة حلال. ولا يبقى إلا المشرعُ الآسن، وإلا الوحل والطين... ينظر المؤمن من عَلٍ إلى الغارقين في الوَحل، اللاصقين بالطين، وهو مفرد وحيد، فلا يَهِنُ ولا يحزن، ولا تراوده نفسه أن يخلع رداءه النظيف الطاهر، وينغمس في الحمأة. وهو الأعلى بمتعة الإيمان ولذة اليقين ﴿ لا يغرُنَّكَ تقلبُ الذينَ كفروا في البلادِ* متاعٌ قليل، ثم مأواهم جهنّمُ وبئسَ المهاد ﴾... ويقف المؤمن قابضاً على دينه كالقابض على الجمر في المجتمع الشارد عن الإسلام وعن الفضيلة، وعن القيم العليا... ويقف الآخرون هازئين بوقفته، ساخرين من تصوّراته، فما يهِنُ المؤمن وهو ينظر من علٍ إلى الساخرين والهازئين، وهو يقول كما قال واحد من الرهط الكرام الذين سبقوه في موكب الإيمان العريق الوضيء، في الطريق اللاحب الطويل... نوح عليه السلام: ﴿ إنْ تسخروا منا فإنّا نسخرُ منكم كما تسخرون ﴾... وهو يرى نهاية الموكب الوضيء ونهاية القافلة البائسة في قوله تعالى: ﴿ إن الذينَ أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون* وإذا مرّوا بهم يتغامزون* وإذا انقلبوا إلى أهلهمُ انقلبوا فكهين* وإذا رأوْهم قالوا إنّ هؤلاء لضالُّون* وما أرسِلوا عليهم حافظين* فاليومَ الذين آمنوا من الكفارِ يضحكون*

على الأرائك ينظرون * هل ثُوِّبَ الكفارُ ما كانوا يفعلون ﴾ . . .

هذه نماذج من ثمرات الإيمان عرضناها لك يا أخي لتكون لنا مثلاً يُحتذى ونوراً يكشف لنا طريق المسير، ولن يصلحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلَح به أولُها كما قال الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه. وإن الثمرة العظمى للإيمان هو الفوز غداً برضوان الله والنعيم، والنجاة من غضبه والعذاب المقيم: ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا مَتاعُ الغُرور ﴾.

الفصل السّابع

الأمُورالمعَلومَة

من الدّين بالضرورة

اعلم يا أخي ـ تولّانا الله وإياك بهداه ـ أن العبد لو أتى بالشهادتين، وعرف الإسلام وصام، وصلى، وحج، ولكن أنكر شيئاً واحداً من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فهو كافر مرتد، لأن إنكار مسألة واحدة ثابتة في ديننا ثبوتاً قطعياً كفر، لأن ذلك يستلزم تكذيب النبي ﷺ فيما جاء به.

ومعنى الأمور المعلومة من الدين بالضرورة (أي بالبداهة): ما ثبت بالقرآن الكريم، وكان قطعي الدلالة، أو بالسنة المشهورة المتواترة كذلك، وليس فيه شبهة، أو بإجماع جميع الصحابة المتواتر إجماعاً قطعياً، قولياً غير سكوتي وهي كثيرة منها:

١ ـ كل ما مر في هذه الرسالة من العقائد.

٢ ـ اعتقاد أنّ كل ما سوى الله حادث، وأنّ الله خلق الأشياء من العدم. والروح حادثة ونكل علم حقيقتها إلى الله سبحانه.

٣ ـ اعتقاد أنّ الرسول ﷺ بعث رحمة للعالمين، برفع عذاب الاستئصال عن الكفار في الدنيا (الذي كان يقع في الأمم السابقة قبل بعثته ﷺ)، وبرفع العذاب عن المؤمنين في الدارين.

٤ ـ اعتقاد أنّ الرسول ﷺ أفضلُ الخلق، ورسالتَه عامةٌ إلى جميع الخلق، وهي صالحة لكل زمان ومكان، واعتقاد أنه ﷺ خاتم النبيين والشرع الإسلامي ناسخ لما قبلَه من الشرائع. وهو الكفيل بإسعاد البشرية.

٥ ـ الإيمان بالإسراء والمعراج. فالإسراء: هو سُرى النبي ﷺ من مكـةَ المكـرمـة إلى المسجـد الأقصى في بيت المقدس. ومنكره كافر لأنه ثابت بالقرآن العظيم قال تعالى: ﴿سبحانَ الذي أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ «١ ـ سورة الإسراء».

وأمـا المعراج: فهـو العُروج بـالنبي ﷺ إلى السموات السبع، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم الـوصول بـه إلى حد انقطعت عنده علومُ الخلائق من إنس وجن وملائكة. وقد وقع الإسراء والمعراج بالجسد والروح الشريفين[1]. ومنكر

---

(١) احذر ممّا يسمونه /معراج ابن عباس/ فإنه مدسوس عليه، وقد ملىء بالأباطيل والإسرائيليات.

المعراج فاسق. ومنكر أنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى كافر.

٦ ـ اعتقاد أنه ﷺ حيٌّ في قبره حياة لا نشعر بها ولا نعلم حقيقتها، كيف لا وهو سيد الأولين والآخرين من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين. والله سبحانه وتعالى يقول عن الشهداء: ﴿أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ ويقول تعالى: ﴿ولا تقولوا لمنْ يُقتلُ في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكنْ لا تشعرون﴾. روى أبو يَعْلَى في مَسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يُصلّون» رَمَزَ السيوطي لحسنه في الجامع الصغير، وقال المناوي حديثٌ صحيح[1].

٧ ـ الاعتقاد بوجود الجن، وأنّ النبي ﷺ مرسل إليهم، وأنّ الله سبحانه خلقهم من مارج من نار، كمّا ذكر في كتابه الكريم، ومنهم المؤمن الصالح الذي يدخل الجنة، ومنهم الكافر الذي يدخل النار خالداً فيها، وأما العاصي الذي لم

---

(١) قال الإمام السيوطي في رسالته(إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء): «حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار». وقال صاحب (نظم المتناثر من الحديث المتواتر): «إن من جملة ما تواتر عن النبي ﷺ حياة الأنبياء في قبورهم».

تُغفر ذنوبه فإنه يُعذّب على قدْرها ثم يُخرج منها.

٨ ـ الإيمان بوجود الملائكة الكرام (كما مر في بحث أركان الإيمان) ويجب الاعتقاد بما وصفهم الله تعالى به من أنهم عباد مُكْرَمون، وأما ما اشتهر من قصة هاروتَ وماروت، فهي من الإسرائيليات، مع زيادة وكذب من المؤرخين. كل ذلك لا يحل اعتقاده ولا سماعه. والصواب أن هاروت وماروت ليسا من الملائكة بل من الإنس.

٩ ـ الاعتقاد بمعجزات الأنبياء، والمعجزة: أمر خارق للعادة يظهر على يد مُدّعي النبوة موافقاً لدعواه، على وجه يُعجِزُ المنكرين عن الإتيان بمثله. والاعتقاد بكرامات الأولياء. **والكرامة**: أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي، فهي غير مقرونة بدعوى النبوة.

١٠ ـ الإيمان بأشراط الساعة المتّفق عليها، وهي خمسة، ويقال لها العلاماتُ الكبرى: خروجُ الدجال. نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء. خروج دابة الأرض. خروج يأجوجَ ومأجوجَ. طلوع الشمس من مغربها. وأما العلامات الصغرى فهي كثيرة جداً، تحدثت عنها الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله ﷺ، ومنها تلك المنكرات الكثيرة التي نراها أمام أعيننا.

١١ ـ الإيمان بنفختي الصور. في النفخة الأولى يموت مَنْ في السموات والأرض إلا مَنْ شاء الله، وفي الثانية ترجع الأرواح إلى الأجساد.

١٢ ـ اعتقاد حياةِ الذين قتلوا في سبيل الله[١]؛ لأنهم هم الشهداء الذين أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنهم ﴿ أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾.

١٣ ـ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه قال تعالى: ﴿ فوَقَاهُ الله سيئاتِ ما مكروا وحاقَ بآلِ فرعونَ سوءُ العذاب * النارُ يُعرَضونَ عليها غُدُواً وعَشيًّا، ويومَ تقومُ الساعةُ أدْخِلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العَذَاب ﴾[٢].

١٤ ـ الإيمان بسؤال الملكين. وعلى العبد أن يؤمن بكل ما ورد ما دام مصدِّقاً لله ولرسوله ﷺ. ولا يخوض في الأمور التي لا تدركها عقولنا، ولا تراها أبصارنا ما دمنا في هذه الحياة، لأن إدراك حواسنا محدود، فإن كثيراً من الأشياء الموجودة في عالمنا نرى آثارها ولا نستطيع أن نراها، ومن ذلك الروح، والعقل، والقوة المغناطيسية، والقوة الكهربائية، فهل من عاقل ينكرها مع أنها لا تُرى؟! والعقلاء جميعاً متفقون على قاعدة هامة وهي «أن عدمَ الوجدان ليس دليلاً

---

(١) وهم الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا.

(٢) سورة غافر / ٤٥ ـ ٤٦.

على عدم الوجود»، أيْ إنّ عدم إحساسك أو رؤيتك لشيءٍ ليس دليلاً على عدم وجوده.

١٥ ـ اعتقاد أن من مات كافراً فهو مخلّد في النار بعَدْل الله تعالى، ومن مات مؤمناً فهو مخلّد في دار الجنان بفضل الله تعالى، وأما العاصي فأمره مفوّض إلى الله تعالى، إنْ شاء عذّبه بعدله، وإنْ شاء غفر له بفضله، وعلى كل فمآله إلى جنة الخلد ورضوان الله.

١٦ ـ اعتقاد أنه لا بد أنْ يُعذبَ بعضُ العصاة من المؤمنين كما دلَّت على ذلك الآيات والأحاديث الشريفة.

١٧ ـ الإيمان بالبعث، والحشر، والحساب، ووزن الأعمال، والميزان (والله أعلم بحقيقته) والإيمان بهول الموقف، وإيتاء الصحف للعباد، فالمؤمنون يأخذونها بأيمانهم والكافرون بشمائلهم.

١٨ ـ الإيمان بالجنة دار النعيم للمؤمنين، وبالنار دار العذاب للعصاة والكافرين، والإيمان بأنهما موجودتان الآن كما دلّت على ذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

١٩ ـ الإيمان بالصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم الله أعلم بحقيقته.

٢٠ ـ الإيمان باللَّوح المحفوظ، وبالقلم، والعرش،

والكرسي، خلق الله تعالى هذه الأربع لحكمةٍ لا لاحتياجه إليها.

٢١ ـ الاعتقاد بوجود حَوْض رسول الله ﷺ يوم القيامة[١].

٢٢ ـ الإيمان بالكوثر، وهو نهر في الجنة أعطاه الله لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ إنّا أعطيناك الكوثرَ ﴾.

٢٣ ـ الاعتقاد بشفاعته العظمى ﷺ في فصل القضاء، حيث يلجأ إليه الخلق جميعاً في الموقف العظيم.

٢٤ ـ اعتقاد فرضية الصلوات الخمس ـ وصلاةُ الجمعة فرض بَدَلَ الظهرِ ـ والاعتقاد بفرضية الغُسل، والوضوء، واعتقاد سنية السنن الرواتب، واعتقاد سنية كل سُنّة مجمع عليها.

---

(١) قال في شرح الجوهرة: «يجب إيماننا بالحوض الذي يُعطاه أفضل المرسلين في الآخرة، لكن لا يُكفَّر من أنكره، بل يفسّق... وتخصيص حوض نبينا إنما لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر» اهـ الباجوري.
وقال ملاّ علي القاري: «حديث الحوض رواه من الصحابة بضع وثلاثون وكاد أن يكون متواتراً». وقال الدكتور البوطي: «الأحاديث الواردة في شأن الحوض ووصفه كثيرة جداً وقد زادت عن حد التواتر»، ص ٢٩١ كبرى اليقينيات. وقال الميداني في شرح العقيدة الطحاوية: «ثبت بصحيح الأخبار التي يبلغ مجموعها التواتر المعنوي» وفي نزهة النظر: «عدّه الشيخ الإمام أنور الكشميري مما تواتر إسناداً».

٢٥ ـ اعتقاد فرضية الصوم، والزكاةِ على مَنْ ملك النصاب، والحجِ على مَنْ استطاع إليه سبيلاً.

٢٦ ـ اعتقاد فرضية الجهاد في سبيل الله، وأن حكمه ماض إلى يوم القيامة[1]، وهو إمّا أن يكون فرض كفاية، أو فرض عين على كل قادر عليه (وتفصيل ذلك في كتب الفقه). وفرضيةالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٧ ـ اعتقاد حرمة المسائل التالية: قتلُ النفس التي حرّم الله إلا بالحق ـ التولي يوم الزحف ـ السحر ـ شهادة الزور ـ الزنا ـ عمل قوم لوط ـ إتيان الزوجة أثناء الحيض أو النفاس ـ شرب الخمر ـ أكل الربا وإطعامه ـ الرشوة (الراشي والمرتشي سواء) أما إذا كان وصول الراشي إلى حقه متعذراً إلّا بها فيعذر الراشي فقط ـ القمار بأنواعه.

٢٨ ـ اعتقاد حرمة: السرقة، والغش، والغصب، والظلم،

---

(١) شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهاداً أكبر هو جهاد النفس، وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس) وبعضهم يحاول أن يصرف الناس بهذا عن أهمية القتال، والاستعداد له، ونية الجهاد والأخذ في سبيله. وقال الحافظ العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر... على أنه لو صحَّ فليس يعني أبداً الانصراف عن الجهاد في سبيل الله سبحانه، وإنما يكون معناه وجوب جهاد النفس حتى تخلصِ لله في كل عملها.

والخيانة وكل ما فيه إيذاء كالسخرية، والهمز، واللمز (الهامز هو الذي يعيب الناس في حال غيابهم، واللامز هو الذي يعيبهم مواجهة).

٢٩ ـ اعتقاد حرمة «الغيبة» وهي ذكرك أخاك بما يكره (وقد استثنى الفقهاء بعض الحالات عند الضرورة، وبيان ذلك في كتب الفقه) ولا يغرنّك يا أخي ما يذكر من الترخيص بالغيبة عند الضرورة، فتتخذ لك من ذلك عذراً، وتستبيح السعي بأخبار فلان وفلان، فتُشيع السوء وتنهش اللحوم، وتخوض في الأعراض.

٣٠ ـ اعتقاد حرمة الكذب ولو مازحاً، (وهو الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع)، ويستثنى من ذلك بعض المسائل عند الضرورة مذكورة في كتب الفقه.

٣١ ـ اعتقاد حرمة النميمة (وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد) قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخلُ الجنةَ نمّامٌ» رواه البخاري ومسلم.

٣٢ ـ اعتقاد حرمة السبِّ واللعن، إلا لمن تحقق موتُه كافراً، أو يلعنُهم جميعاً بأنْ يقول: لعنة الله على الكافرين، أو على الظالمين، ومثلُه حرمة الدعاء بسوءٍ على نفسه أو أولاده أو المؤمنين.

٣٣ ـ اعتقاد حرمة قذف المحصنات، (وهو اتهام العفيفات بالفاحشة).

٣٤ ـ اعتقاد حرمة الجمع بين الأختين زواجاً، وحرمة زواج المحرمات حتى من الرضاع، وحرمة زواج المطلّقات ثلاثاً قبل أن تنكح زوجاً آخر غيرَ زوجها الأول.

٣٥ ـ اعتقاد حرمة الكبائر المتعلقة بالقلب كالحقد، والحسد، والكِبْر، والعُجْب، والرياء، والبخل، وغيرِها من أمراض القلب والفواحش الباطنة، نسألُ الله العافية.

٣٦ ـ ومن الأمور المعلومة بالضرورة الحدود التي حدّ الشارع الحكيم كحدِّ القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر واعتقاد صلاحيتها لكل عصر وزمان.

٣٧ ـ مشروعية الزواج بأربع نساء بشرط العدل بينهن ومشروعية الطلاق.

الأمور التي تجب معرفتها على كل مسلم من سيرة الرسول ﷺ

١ ـ **نسبه الشريف**: هو رسول الله ﷺ محمد بنُ عبدالله، ابن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصيّ، بن

كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لؤيّ، بن غالب، بن فِهْر، ابن مالك، بن النضْر، بن كِنانةَ، بن خُزَيمةَ، بن مُدْرِكة، بن إلياس، بن مُضَر، بن نزار، بن مَعدّ، بن عدنان. ثم ينتهي نسبه الشريف إلى سيدنا إسماعيلَ بن إبراهيمَ خليلِ الرحمن عليهما السلام. وأمه السيدة آمنة بنت وَهْب.

٢ ـ **مكانُ ولادته**: مكةُ المكرمة، ولد عامَ الفيل صبيحةَ يوم الإثنين سنة ٥٧١ ميلادية.

٣ ـ **مُهاجَرهُ**: المدينة المنوّرة أمره الله بالهجرة إليها بعد ثلاث عشرةَ سنةً من الدعوة في مكة، فهجر وطنه وأحبَّ البلاد إليه في سبيل الله عز وجل.

٤ ـ في الأربعين من عمره الشريف نزل عليه أمينُ الوحي جبريل (عليه السلام) وهو في غار حراء فغطّه ثلاثاً، وخاطبه يقظة، شفاهاً، وبلّغه رسالة ربه عز وجل[١].

٥ ـ في الثالثة والستين من عمره الشريف توفّاه الله تعالى، وانتقل إلى حظيـرة القدس والـرفيق الأعلى، بعد أن أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة، ونصح للأمة.

٦ ـ مكان وفاته، وقبره الشريف في المدينة المنورة.

---

(١) في ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة الموافق تموز سنة ٦١٠ ميلادية. (نور اليقين).

محبته ﷺ محبةً خالصة، واجبةً على كل مؤمن، بحيث يكـون أحبَّ إليـه من نفسـه، ومالـه، وأهله، والنـاس أجمعين... والمحبة وَجْد في القلب وحنين في الروح... ليست كلاماً يقال، ولا دعوى تنطق بها الألسنة، إنّ على المحبة بينةً واضحةً، ودليلاً مبيناً، هو تعظيم أمر المصطفى ﷺ، واتباع سنته شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وخدمةُ شريعته، ونشرُ أخلاقه في الأمة، والإكثار من الصلاة عليه[1].

وكيف لا يُحبه المؤمن، وقد كان سببَ إخراجه من الظلمات إلى النور، وسبباً لفوزه إن شاء الله بجنة عرضها السموات والأرض، جزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته.

أحكمِ الحبَّ بتقليد الحبيبْ لتنالَ القرب من رب مجيب
في حراء القلبِ فاقعدْ خالياً وإلى الحق فهاجر راضيا
مهجةُ المسلم مثوى المصطفى عزة المسلم، ذكرى المصطفى[2]

وسيرته العطرة وشمائله الشريفة، قد أُلِّفت فيها المجلدات العظام، فعلى المؤمن أن يكثر مطالعة سيرته ﷺ، لأن رسول الله هو أسوة المسلم وقدوته[3]...

---

(١) الصلاة على النبي فرض مرة واحدة في العمر، وواجبه كلّما ذكر عليه الصلاة والسلام ويقضى هذا الواجب.

(٢) ديوان «الأسرار والرموز» لشاعر الإسلام محمد إقبال.

(٣) خير ما يُرجع إليه من أجل ذلك «تهذيب سيرة ابن هشام ـ كتاب الشفا =

«وعلى تفننِ مادحيه بوصفه
يفنى الزمانُ، وفيه ما لم يوصف»

* * *

«قيل ما قيل في النبي فهل كا
ن الذي قيل قطرةً في ذاته
يعلمُ الله وحدَه مصطفاه
ويحومُ المُدّاح في عَتَبَاته»

= للقاضي عياض ـ الأنوار المحمدية للنبهاني ـ الشمائل المحمدية للترمذي».

الفصل الثامن

أصول المكفّرات

الكفر والسير في طريق الطاغوت والإعراض عن منهج الله سبحانه أكبر جريمة يرتبكها الإنسان، لأنها خروج عن سنة الكون وهي الاستسلام لأمر الله عز وجل. إنّ ما نراه في مجتمعنا وفي العالم كلِّه من عذاب وتخبط وقلق وتسلط الطغاة على الضعفاء ليس إلا نتيجة حتمية للإعراض عن دين الله والعقيدة الصحيحة التي بعث بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ونذكر هنا أصول المكفرات التي تنقل الإنسان من حظيرة الإيمان إلى الكفر والعياذ بالله. وأهل الحق لا يكفِّرون مسلماً ـ أقرَّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدَّى الفرائض ـ برأي أو معصية، إلا إن أقرَّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذّب صريح القرآن، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحالٍ، أو عمل عملاً مما سنذكره لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

١ ـ الشرك بالله تعالى أو إنكار وجوده، واعتقاد أن الحياة

مادّة وأن الكون أزلي.

٢ ـ عدم اعتراف الإنسان بأن كل نعمة هو فيها، ظاهرة وباطنة، حسِّية ومعنوية هي من فضل الله تعالى.

٣ ـ كراهية شيء من الإسلام أو كراهية الإسلام كله.

٤ ـ التخلق بأخلاق اليهود، الذين كانوا يتخذون أحبارهم أرباباً من دون الله سبحانه، فيعطونهم حقَّ التحليل والتحريم، وكانوا ـ قاتلهم الله ـ يحتكمون إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يعبدوا الله وحده.

٥ ـ نسبة الظلم إلى الله تعالى. وقد اعتاد بعض العوام القول (الله يظلمني إنْ ظلمتك) وهذا كفر إن اعتقده.

٦ ـ أفعال الله سبحانه وتعالى كلها لِحِكَم وإن كنا نجهلها. فمن اعتقد في شيء من هذا الوجود أنه عبث يَكفُر، إذ العبث من صفات المخلوقين.

٧ ـ الاستهزاء بشيءٍ من كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله، أو بأهلهما من أجلهما أو بحكم من أحكام الله عز وجل، أو شعيرة من شعائر الإسلام.

٨ ـ تحليل ما حرّم الله، أو استحلاله، أو تحريم ما أحل الله، والمسارعة إلى التحريم كالمسارعة إلى التحليل،

وعلى المؤمن أنْ لا يتقدم بين يديّ الله ورسوله برأي إلا أنْ يعلم حُكم الله فيقوله.

٩ ـ عدم الإيمان بشيءٍ من نصوص الكتاب وعدم الإيمان بأصل السنة وبما ثبت منها بشكل قطعي عن رسول الله ﷺ.

١٠ ـ تولِّي الكافرين والمنافقين، وعدم محبة أهل التوحيد والمؤمنين.

١١ ـ سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، كالاستهزاء بحال من أحواله أو بعمل من أعماله.

١٢ ـ إنكار عموم رسالته ﷺ إلى البشر كافة.

١٣ ـ اشمئزاز القلب من توحيد الله تعالى.

١٤ ـ ادّعاء أنّ للقرآن باطناً يخالف الظاهر، وأن هذا الباطن لا يعلمه إلا أناس مخصوصون.

١٥ ـ تكفير المؤمنين، وعدم تكفير الكافرين، أو الشك في كفرهم، أو استحسان ما هم عليه من الكفر، أو التشبه بهم في أمور يختصون بها.

١٦ ـ عدم معرفة الله معرفة صحيحة، بإنكار شيء من صفاته أو أسمائه أو أفعاله وعدم معرفة رسول الله ﷺ أو سلبه

صفة مما وصفه الله بها، أو وصفه بصفة محقّرة أو منقصة له أو عدم اعتقاد كونه الأسوة العليا للإنسان.

مسائل هامة:

١ ـ من كان في قلبه غيظٌ لأصحاب رسول الله ﷺ، أو لأحدهم، أفتى مالك رحمه الله تعالى وغيره من جهابذة العلماء، بكفره، وسندهم قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفارَ﴾[1].

٢ ـ الكافرون خالدون في السعير لا ينقطع عنهم ألمُ العذاب والعِياذ بالله تعالى. فمن اعتقد أنه ينقطع عنهم، أو ينقلبُ في حقهمُ استلذاذاً، فهو كافر بلا شكٍ ولا ريبٍ[2].

٣ ـ أخبرنا الله سبحانه في كتابه الكريم أنّ سيدنا آدمَ هو أول إنسانٍ خلقه سبحانه ابتداءً من طين، وسوّاه سبحانه، ونفخ فيه الروح، وأمر الملائكة بالسجود له، فمن زعم أن الإنسان متحدِّر من حيواناتٍ أبسطَ تركيباً منه، فهو مرتد. والذين زعموا ذلك واهمون، ليس لديهم أيُّ دليل علمي مقنع، بل على العكس من ذلك فإنّ البحث العلمي النزيه

---

(١) سورة الفتح / ٢٩. وانظر المسائل الكافية للشيخ محمد بن يوسف الكافي.

(٢) المسائل الكافية للعلامة المحقق الشيخ محمد بن يوسف الكافي.

يُثبت استقلال الإنسان، من ناحيتيه النفسية والفيزيولوجية مما لا مجال لبحثه هنا.

حكم المرتد:

إذا ارتد المسلم يحبس ثلاثة أيام، ويعرض عليه الإسلام مع معرفة سبب كفره وإزالة الشبه والشكوك من نفسه بالأدلة المقنعة والنقاش العلمي، فإن لم يرجع وأصر على كفره يقتل من قبل الحاكم المسلم.

وإذا ارتد المسلم، تقع الفُرقة بينه وبين زوجته من غير تنقيص عدد للطلاق، وليس له أن يردّها إلى عصمته إلا بعقد شرعي، ويَبطل حجُّه فيلزمه إعادته، وإعادةُ الصلاة التي صلاها في وقتها الذي ارتد فيه، وأسلم والوقت باق، أما الصلوات التي فاتته في حال ردته فلا يجب عليه قضاؤها، ولا تؤكل ذبيحة المرتد وكذا ذبيحة كل كافر ليس بكتابي، ولا يزوج، وكذا المرتدة لا يحل للمسلم أن يتزوجها[1].

* * *

---

(١) انظر الهداية (في الفقه الحنفي) وغيرها من كتب المذهب.

الفصل التاسع

حقائق وتنبيهات هامّة

١ ـ على المؤمن أنْ يأخذَ في المعتقدات بما أخذ به السَّلَف الصالح من أهل السنة والجماعة المتبعين لرسول الله ﷺ، وهم الفرقة الناجية الذين عناهم رسول الله ﷺ في قوله: «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق...».

٢ ـ القرآن الكريم والسنة المطهَّرة مرجع كلِّ مسلم في تعرُّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية والآثار الواردة من غير تكلُّف ولا تعسُّف، ويُرجع في فهم السنّة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات، والفقهاء العظام.

٣ ـ كل أحد يُؤخذ من كلامه ويُترك، إلا المعصوم ﷺ، وكلُّ ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ولكنّا لا نعرِض للأشخاص بطعن ولا تجريح إذا وردَنا عنهم ما يخالف الكتاب والسنة، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضَوا إلى ما قدّموا وحسابُهم على الله.

٤ ـ على كل مسلم لم يبلغ درجةَ النظر في أدلّة الأحكام الفرعية أنْ يتّبع إماماً من الأئمة الأربعة رضي الله عنهم. ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في معرفة أدلة إمامه.

٥ ـ الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجرُه.

٦ ـ كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نُهينا عنه شرعاً. ومن ذلك الخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم من خلاف، فلكل منهم فضل صحبته، وجزاء نيته، وكل منهم مجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٧ ـ لا تسقط التكاليف الشرعية عن أي إنسان إلا إذا مات أو جُنَّ. أما من قال بها قبل ذلك فهو ضال مُضلّ. قيل للجنيد رضي الله عنه: إن أناساً يزعمون أنهم وصلوا إلى اليقين، ويقولون بإسقاط التكاليف. فقال: نعم.. وصلوا.. ولكن.. إلى سقر!!..

٨ ـ الطاعة المطلقة لا تكون إلا لرسول الله ﷺ ﴿من يُطعِ الرسولَ فقد أطاع الله﴾. وهو القدوةُ الكاملة والأسوة

الحسنة. أما طاعةُ غيره فمقيدةٌ بالنصوص الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله «لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق» الحديث.

٩ ـ كل بدعة في ديننا لا أصل لها، استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه، ضلالةٌ تجب محاربتها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شرٌّ منها.

١٠ ـ الإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها. وقد يتناول كل من النظر الشرعي والبحث العلمي ما لا يدخل في دائرةِ الآخر ولكنهما لن يختلفا في القطعي؛ فلن تصطدم حقيقةٌ علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ويُؤوَّل الظني منهما ليتفق مع القطعي. فإنْ كانا ظنِّيَيْن، فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى تثبت الحقيقة العلمية، أو تنهارَ الفرضية أو النظرية.

١١ ـ للإيمان الصادق، والعبادة الصحيحة، والمجاهدة، نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من شاء من عباده. ولكنّ الكشف والإلهام، والخواطرَ والرؤى، ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه. قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: إذا تعارض كشفُك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة

ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة.

وقال الإمام الرفاعي رضي الله عنه:

ما لي وقول زيد ووهم بكر وعمرِو
وجه الشريعة أهدى من سرِّ ذاك وسري

١٢ ـ العصمة مخصوصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسواهم إنْ ادعاها كان ضالاً.

وكل فرد من أفراد الأمة المحمدية إنما توزن أعماله وأقواله بكتاب الله وسنة رسوله. قال الإمام أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة. وأما ما ورد في أحد الكتب (من آداب المريد مع الشيخ أنْ لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهرهُ حراماً، ولا يقول: لِم فعلت كذا؟، لأنّ من قال لشيخه لِمَ؟ لا يفلح أبداً، فقد تصدُر من الشيخ صورةٌ مذمومةٌ في الظاهر محمودةٌ في الباطن...) إنّ هذا القول مجاوزٌ للصواب، ولا يصح الاستشهاد لهذا بما وقع لموسى عليه السلام مع الخضر، فليس ذلك من شرعنا بل هو شرع مَنْ قبلنا، ثم إنّ ذلك وقع بوحي من الله تعالى

﴿وما فعلته عن أمري﴾. ولا وحي بعد رسول الله ﷺ إنما هي آيات الكتاب ونصوص السنّة لا يحل لأحد مخالفتُها كائناً من كان.

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: «لو قال الولي بما يخالف الرسولَ ﷺ لم يُتّبعْ في ذلك، ولم يكن على بصيرة لأنّ من كان على بصيرة لا يتطرق إليه تُهمة» وقال أيضاً في كتابه الأنوار القدسية جـ٢ ص ١٧٦: «إنّ سُفيانَ الثوري رضي الله عنه كان يتهم نفسه ويقول لأصحابه: «إياكم أنْ تقتدوا بي حتى تزنوا أحوالي على الكتاب والسنة...».

نقل العلامة أحمد بن عَجيبة الحسني في كتابه شرح المباحث الأصلية عن الإمام أبي إسحاق الشاطبي قولَه في كتاب الاعتصام: «كلُّ ما عمل به المتصوفةُ المعتبرون في هذا الشأن (كالجنيد وأمثاله) لا يخلو إما أنْ يكونَ مما ثبت له أصل في الشريعة أم لا. فإنْ كان له أصلٌ فهم خُلقاءُ به، كما أنّ السَّلف من الصحابة والتابعين خُلقاء بذلك، وإنْ لم يكن له أصلٌ في الشريعة فلا عمل عليه لأنّ السنة حُجة على جميع الأمة، وليس عمل أحد من الأمة حجةً على السنة، لأن السنّة معصومة من الخطأ، وصاحبُها معصوم، وسائر الأمة لم تثبت لهم عصمة أصلاً إلا مع إجماعهم خاصةً، وإذا اجتمعوا تضمَّن إجماعهم دليلاً شرعياً، فالصوفية كغيرهم

ممن لم يثبت لهم العصمة فيجوز عليهم الخطأ والنسيان والمعصية كبيرتُها وصغيرتُها، ولذلك قال العلماء: كل كلام مأخوذ أو متروك، إلا ما كان من كلام النبي ﷺ. وقد قرر ذلك القُشَيري أحسن تقرير فقال: «فإن قيل: فهل يكون الوليُّ معصوماً حتى لا يصِر على الذنوب؟ قيل: أما وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصِر على الذنوب ـ وإن حصلت منهم آفات أو زلات ـ فلا يمتنع ذلك في وصفهم». فهذا كلام منصف فكما يجوز على غيرهم المعاصي، فالابتداع وغيرُه كذلك يجوز عليهم، فالواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ[1]، ونقف عن الاقتداء بمن يجوز عليه إذا ظهر في فعله إشكال، بل يعرض ما جاء عن الأئمة على الكتاب والسنة فما قبلاه قبلناه وما لم يقبلاه تركناه، وما علينا إذا قام لنا الدليل على اتباع الشرع ولم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة، وبذلك وصّى شيوخُهم. وإنّ ما جاء به صاحب الوجد والذوق من العلوم والأحوال والفهوم يعرض على الكتاب والسنة فإن قبلاه صحَّ، وإلاّ لم يصح، فكذلك ما رسموه من الأعمال وأوجه المجاهدات وأنواع الالتزامات. ثم قال: إذا

(١) وهو رسول الله ﷺ.

نظرت في رسومهم التي حدّوها وأعمالَهم التي امتازوا بها عن غيرهم، بحسب تحسين الظن والتماس أحسن المخارج ولم تعرف لها مخرجاً، فالواجب التوقف عن الاقتداء والعمل - وإن كانوا من جنس من يُقتدَى بهم - لا رداً لهم واعتراضاً - بل لأنّا لم نفهم وجهَ رجوعه إلى القواعد الشرعية كما فهمنا غيره. ثم قال بعد كلام: فوجب بحسب الجريان على رأيهم في السلوك أن لا نعمل بما رسموه، مما فيه معارضة لأدلة الشرع، ونكون في ذلك متّبعين لآثارهم ومهتدين بأنوارهم، خلافاً لمن يعرض عن الأدلة، ويصمم على تقليدهم فيما لا يصح تقليدهم فيه على مذهبهم، فالأدلة الشرعية والأنظار الفقهية ورسوم الصوفية تذمه وترده، وتحمد من تحرّى واحتاط، وتوقف عند الاشتباه، واستبرأ لدينه وعرضه[1]. اهـ.

وما أجمل قول القائل:

خلِّ عنكِ الأوهامَ يا أمَّ عمرو
ودعينا من طيشك المعهود
كتب الله: كلُّ خير وبر
ثابتٌ في الوقوف عند الحدود

(١) شرح المباحث الأصلية ص ٩٣ ـ ٩٥ الجزء الأول. والاعتصام جـ ١ ص ٢١٧.

١٣ ـ علم الغيب مختص بالله سبحانه وتعالى، وما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيَّبات فمن الله تعالى بوحي، لإثبات نبوته ﷺ، ففي الحديث الشريف «والله لا أعلمُ إلا ما علمني ربي». وقد يقع لغيره من الأولياء في بعض الأحيان ويسمّى كشفاً، ولكنْ هناك فرق كبير بين ما يقع للأنبياء وما يقع للأولياء، قال الإمام الشاطبي: «ما كُشف من المغيّبات للأنبياء فهو حق معصوم، وما لاح للأولياء فهو سانح مظنون».

أما المنجِّم إذا قال: أعلم الغيب فإنه يُكفَّر، وكذا كل من يعتقد أن أحداً غيرَ الله يعلم الغيب. وفي الفتاوى الحديثية للعلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى: «إذا قال المنجم إنّ الله سبحانه وتعالى اضطردت عادته بأنّ هذا النجم إذا حصل له كذا كان ذلك علامةً على وقوع كذا، فهذا لا مانع منه». وقال أيضاً: «إنّ دعوى معرفةِ الكسوف ليست من علم الغيب في شيء لأنه يُدرك بالحساب فلا ضلال فيه ولا كفر» أقول: ويجري مجرى هذا ما تقدمه مصلحةُ الأرصاد الجوية من نشراتٍ عن أحوال الجو فإنما هو توقّع، وقائم على حسابات معيّنة، فليس هو من علم الغيب في شيء أيضاً. يقول الإمام ملاّ علي القاري: (فلا يجوز اتباع المنجِّم والرمَّال وغيرهما كالضارب بالحصى. وما يُعطىٰ هؤلاء من

الأجرة حرامٌ بالإجماع) وتصديق المنجِّم أو الكاهن أو الرمّال واعتقاد أنهم يعلمون الغيب كفر.

١٤ ـ الوصول إلى الله هو الوصول إلى العلم به، وإلا فجلّ ربنا أنْ يتصل به شيءٌ أو يتصلَ هو بشيء. (الحِكَم العطائية).

١٥ ـ لا يُخاف التباسُ الطرق عليك، ولكنْ يُخاف غلبة الهوى عليك. تمكّنُ حلاوةِ الهوى من القلب هو الداء العُضال، ومن علاماتِ اتِّباع الهوى المسارعةُ إلى نوافلِ الخيرات والتكاسلُ عن القيام بالواجبات. (الحِكَم العطائية).

١٦ ـ لا يغرنّك ما يُروى من الأخبار الموضوعة، التي فيها الثواب الجزيل على العمل التافه البسيط، فقد قام سيد الخلق ﷺ حتى تورّمت قدماه. وجاهد الصحابةُ رضي الله عنهم حتى نَقِبت أقدامهم في سبيل الله عز وجل.

١٧ ـ احذر من قراءة أي كتاب يقع في يدك، واستشر من هو أعلم منك وخاصة الكتبُ المحدَثة من قِصص أو روايات تاريخية أو أبحاث دينية، فإنّ في بعضها سُماً قاتلاً.

١٨ ـ الفتوحات الإسلامية كانت بدافع ديني محض، وما يزعمه المستشرقون وتلامذتهم من وجود دوافع أخرى

اقتصادية وغيرها فهو محض افتراء على خير القرون بعد رسول الله ﷺ.

١٩ ـ ما يتعرض له التاريخ الإسلامي من محاولات لتشويهه أو تفسيره تفسيراً مادياً من وجهة نظر ماركسية يحتاج إلى وقفة شجاعة من قبل المؤمنين، تجعل كيد الأعداء يرتد إلى نحورهم، وتظهرهم بمظهر القاصرين عن بلوغ الذُّرى الشامخة التي ترتقي إليها نفوس المؤمنين، وأن ما يحكم سلوكهم هو إيمانهم لا حاجاتهم المادية ونزواتهم النفسية، وإن كان الإنسان ليس معصوماً عن الخطأ إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

خاتمة

وفي الختام أنصحُك يا أخي وأنصحُ نفسي بالمسارعة إلى التوبة من جميع الذنوب، وعدمِ التسويف، ولنستمع إلى قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يا عباديَ الذينَ أسرفوا على أنفُسِهم لا تَقْنَطوا مِنْ رحمةِ الله، إنّ الله يغفرُ الذنوبَ جميعاً، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ * وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلموا له مِنْ قبل أنْ يأتيَكُم العذابُ ثم لا تُنْصرون، واتَّبِعُوا أحسن ما أُنزل إليكم مِنْ ربِّكم مِنْ قَبْلِ أنْ يأتيَكُم العذابُ بَغْتَةً، وأنتم لا تشعرون * أنْ تقولَ نفسٌ: يا حسرتَى على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله، وإن كنتُ لمنَ السّاخرينَ * أو تقولَ: لو أنَّ الله هداني لكنتُ منَ المتَّقينَ * أو تقولَ: حينَ ترى العذابَ لو أنّ لي كَرَّةً فأكونَ من المحسنينَ * بلى قد جاءَتْكَ آياتي فكذَّبتَ بها واستكبرتَ وكنتَ مِنَ الكافرينَ * ويومَ القيامةِ ترى الذين كَذَبوا على الله وجوهُهُم مُسْوَدَّةٌ، أليسَ في جهنمَ مثوىً للمتكبرينَ * وينجّي الله الذينَ اتَّقَوْا بمفازتهم لا يمسُّهُمُ السوءُ ولا هم يَحْزَنون ﴾ «٥٣ / ٦١ ـ الزمر».

اللهم إليك نشكو قسوةَ قلوبنا، وغِلَّ صدورنا، وفتنةَ أنفسنا، وطموحَ أبصارنا، ورَفَثَ ألسنتنا، وسُخْفَ أحلامنا، وسوءَ أعمالنا... اللهم إن كنّا قَصَّرنا عن بلوغِ طاعتك، فقد تمسَّكْنا بأحبِّها إليك «لا إله إلا أنت» جاءت بالحق من عندك... سبحانَ الله عن أقاويل الملحدين، وشركِ المشركين، وتنقيصِ الناقصين، وتشبيه المشبِّهين، وسوءِ أوهام المتفكرين، وكيفيات المتوهمين، ﴿سبحانَ ربِّك ربِّ العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾.

* * *

فهـــرس

الموضوع | الصفحة